

فارس الأندلس غالب الناصري ودوره في حوادث المغرب والأندلس

بحث مقدم من

د . حمدي عبد المنعم محمد حسين

مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كلية الآداب — جامعة الإسكندرية

لعب الموالي المروانية دورا هاما في اقامة الدولة الأموية في الأندلس ، فلولا مؤازرتهم والتفافهم حول عبد الرحمن بن معاوية الداخل لما تم أمره وتحقق حلمه في إحياء دولة بنى أمية في الأندلس ولولا اخلاصهم له ولبنيه لما أمكن للدولة الأموية أن تؤثر وتترك بصماتها واضحة جلية في تاريخ الأندلس إذ اعتمد عليهم بنو أمية وقلدوهم أهم مناصب الدولة ، فكان منهم الحجاب والوزراء والكتاب والقواد والقضاة وارتفعت مكانتهم بوجه خاص في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ — ٣٥٠ هـ / ٩١٢ — ٩٦١ م) بحيث أصبحوا يلقبون بالأبناء^(١) .

وكان من أبرز شخصيات الموالي المروانية في عصرى عبد الرحمن الناصر وولده الحكم المستنصر القائد غالب بن عبد الرحمن الناصرى ، إذ وصل إلى مكانة لم يبلغها قائد أندلس آخر في عصر الخلافة ، وكان الحكم المستنصر عرفانا منه بقدر هذا القائد المظفر ، قد أسند إليه القيادة العليا للجيش الأندلسية .

وأصدر مرسومه بذلك إليه في سنة ٣٦١ هـ (٩٧٢ م) وذلك « تشريفا له وتنويها بذكره لحמיד غنائه وجميل مقامه »^(٢) . ثم عاد الخليفة الحكم المستنصر في السابع من شعبان سنة ٣٦٤ هـ (الثانى والعشرين من أبريل ٩٧٥ م) : « وشرفه بما لم يشرف به خليفة من خلائف الأندلس أميرا ولا قائدا سواه ، ولا تقدم للملك حاشاه » بأن قلده سيفين من ذخائر سيوفه وسماه « ذا السيفين »^(٣) .

(١) مؤنس (د . حسين) : فجر الأندلس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٤٠٣ وما بعدها .

Levi provençal : L'Espagne Musulmane au xe siecle, Paris, 1932, P. 126; Histoire de L'Espagne. Musulmana, 3 vols, Leiden, 1950 - 1954, Vol, III, P. 209.

(٢) ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبى) : المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، نشره وحققه الدكتور عبد الرحمن الحجى ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٥ م ، ص ٦٩ .

(٣) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٢٢٠ — ٢٢٢ .

دور غالب الناصري في أحداث الأندلس

ورد ذكر غالب بن عبد الرحمن الناصري لأول مرة في حوادث عام ٣٣٥ هـ (٩٤٦ م) ، حينما قرر الخليفة عبد الرحمن الناصر إعادة بناء مدينة سالم^(١) Medinaceli من أعمال الثغر الأوسط ، وأرسل لذلك مولاه غالب الناصري في جيش كبير جرده معه من قرطبة ، كما أرسل الخليفة الناصر في نفس الوقت إلى قواد الثغر الأوسط يأمرهم بالتعاون مع غالب لإعادة بنائها : « فسارعوا إلى أمره ، وبنيت أحسن بناء ، ونقل إليها البنائون من مدن الثغر الأوسط لاختطاط ديارها والرباط بها » واكمل البناء في شهر صفر سنة ٣٣٥ هـ (سبتمبر ٩٤٦ م)^(٢) .

(١) مدينة سالم Medinaceli وتقع شمالى مدريد بنحو ١٣٥ كيلو مترا في الطريق بين مدينتي مدريد وسرقسطة . وهى الآن من أعمال مقاطعة سرية Soria ومدينة سالم قديمة البنيان وقد عرفت في العصر الروماني باسم Ocialis ، ولما فتح العرب الأندلس ، عمر هذه المدينة سالم بن ورعمال بن وكذات بن أكلله بن مقر بن مصاد بن مصمود ، وهم قبيل من البربر من بطن مصمودة وينتسبون بالولاء إلى بنى مخزوم ، ويبدو أن سالم بن ورعمال المذكور كان من كبار قواد البربر وأنه دخل الأندلس في فترة مبكرة إذ أننا نرى حفيدا له هو الفرج بن مسرة بن سالم المتوفى سنة ٢١٧ هـ (٨٣٢ م) وهو الذى تنسب إليه مدينة الفرج أو وادى الحجارة .

عن مدينة سالم راجع : ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد) : جمهرة انساب العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٤٦٦ ، الادريسي (الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز) : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، تحقيق دى غوية ودوزى ، ليدن ، ١٨٦٤ م ، ص ١٨٩ ، الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجى) صفة جزيرة الأندلس قطعة منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، نشر وتحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ م ، ص ١٦٣ ، ١٩٣ .

Levi Provençal, Histoire, Vol, II, P. 64, n.2.

(٢) ابن عذارى (أبو عبد الله محمد المراكشي) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ثلاثة أجزاء ، دار الثقافة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر يهدف من إعادة بناء مدينة سالم وتحصينها جعلها قاعدة قوية للأعمال العسكرية ضد القوى المسيحية في الشمال الأسباني . ومن المرجح أن غالبا الناصري كان مايزال مقيما بمدينة سالم وربما كان يتقلد القيادة العسكرية على هذه القاعدة العسكرية المتقدمة فقد روى ابن عذارى في حوادث عام ٣٤٢ هـ (٩٥٣ م) أن القائد أحمد بن يعلى^(١) خرج غازيا إلى جليقية وعاد منتصرا بعد أن قتل الرجال وأحرق القرى وانتسف المزارع ، فقرأ كتابه بالنصر يوم الجمعة الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة ٣٤٢ هـ (الثاني عشر من أغسطس سنة ٩٥٣ م) كما قرأ معه كتاب آخر للقائد غالب الناصري ، يذكر عظيم ما فتح الله عليه ومنحه من نصر على المسيحيين ، ثم دخلت رؤوس القتلى قرطبة ومعها النواقيس والصلبان^(٢) .

وفي ربيع الأول عام ٣٤٤ هـ (يوليو ٩٥٥ م) ، أغار قواد عبد الرحمن الناصر ومن بينهم غالب الناصري على بلاد مملكة ليون ، وأنزلوا هزيمة قاصمة بقوات أردونيو الثالث ملك ليون ، هلك فيها من رجاله نحو عشرة آلاف ، فقرأ كتاب النصر بالمسجد الجامع بقرطبة ، ثم وردت رؤوس القتلى وبلغ عددها خمسة آلاف فأمر الناصر برفعها على الخشب حول سور قرطبة^(٣) . فاضطر اردونيو الثالث إلى طلب الهدنة من عبد الرحمن الناصر ، فأجابه الناصر

(١) يعتبر أحمد بن يعلى من أبرز قواد عبد الرحمن الناصر وهو من أصل بربرى . أنظر عن أحمد بن يعلى ابن حيان ، المقتبس ، نشر د . بدروشالميتاود . كورينطى والأستاذ محمود صبح ، نشر المعهد الأسباني العربى للثقافة ، مدريد ، ١٩٧٩ م ، ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٥ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ابن البار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي) ، الحلة السراء ، تحقيق د . حسين مؤنس ، في جزئين ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٣ م ، ج ١ ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٨٤ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .

Levi provençal, Histoire, Vol, II, P. 68.

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

Levi provençal, Histoire, Vol, II, P. 68.

إلى طلبه ، وبعث إليه سفيره محمد بن الحسين وطبيبه الخاص حسداى بن شبروط اليهودى^(١) ، وتمكن السفيران من اقناع اردونيو الثالث بضرورة التفاهم مع الناصر فتنازل عن عدد من الحصون وتعهد بعدم العدوان على بلاد المسلمين وعلى هذا الأساس فقط منحه الناصر الهدنة . وفى العام التالى (٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م) طلب اردونيو الثالث من الخليفة الناصر ادخال فرناندو وجونثالث كونت قشتالة فى اتفاقية السلام ، فأجابه الناصر إلى طلبه وأدخله فى عهده^(٢) .

وفى عام ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) برز غالب الناصرى إلى فحص السراق^(٣)

(١) ولد حسداى بن شبروط بمدينة جيان عام ٣٠٣ هـ (٩١٥ م) ، وكان قد هاجر مع عائلته صيبا إلى قرطبة ودرس الطب ومارسه ، وقد كلفه الخليفة عبد الرحمن الناصر بأن يترجم من اللاتينية إلى العربية كتاب ديسقوريدس عن الحشائش ، وكان هذا الكتاب قد ألفه ديسقوريدس باليونانية ثم ترجمه إلى اللاتينية الراهب نيقولاس ، وكان الإمبراطور البيزنطى قسطنطين السابع قد أرسل النسخة اللاتينية إلى الخليفة الناصر راجع عن كتاب ديسقوريدس : سالم : قرطبة ، ح ٢ ، ص ١٦٥ — ١٦٦ ، وكان حسداى بن شبروط مسئولاً عن الادارة المالية بقرطبة فى عصر الناصر . بالإضافة إلى قيامه ببعض المهام السياسية والدبلوماسية التى كان يكلفه بها الخليفة الناصر .
عن حسداى بن شبروط راجع :

ابن حيان المقتبس ، نشر شاليتا ، ص ٤٥٤ — ٤٥٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ٢٢١ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ح ١ ، ص ٣٤٢ ، سالم ، قرطبة ، ح ١ ، ص ٦٩ ، ٧٠ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٤١٧ ، أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

Levi provençal, Histoire, Vol, II, P. 69, 230-231.

(٢) المقرئ ، نفح الطيب ، ح ١ ، ص ٣٤٢ ،

Levi Provençal, Ibid. P. 68.

(٣) كان فحص السراق يقع جوفى نهر قرطبة بالطرف الشرق من قرطبة . وكان فى أول امره قصيرا ريفيا لتنزه الأمراء الأمويين . ومن المرجح أن يكون فحص السراق قد تحول فى عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى مكان لوضع سراق الخليفة لاستعراض الجيوش قبل خروجها للغزو ، فقد كان السراق السلطاني قبل عصر الناصر ينصب بفحص الربيض بشقنده .

راجع : ابن حيان ، المقتبس ، نشر ملشور انطونية ، ص ٩٤ ، ابن عذارى ، البيان ، ح ٢ ، ص ٢٠٤ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ح ٢ ، ص ٢١ ، سالم ، قرطبة ، ح ١ ، ص ٢١٠ .

Levi Provençal, L'Espagne Musulmane au xe siecle, P. 141, No. 1.

غازيا إلى مملكة نبره ، ونجح فى افتتاح بعض حصونها^(١) .

توفى الملك اردونيو الثالث وخلفه على عرش ليون سانشو الأول ، الذى رفض تنفيذ المعاهدة التى عقدها أخوه اردونيو الثالث مع الناصر ، فاضطر الناصر إلى مهاجمة بلاده بهدف ارغامه على تنفيذ المعاهدة المذكورة ، وبعث قائده أحمد بن يعلى فى الجيش إلى ليون ، فغزاها ، وتوغل فى أراضيها ، فاضطر سانشو أن يعقد الصلح وأن يقر ما سبق أن تعهد به أخوه . غير أن ذلك لم يرض أولى الأمر فى مملكة ليون الذين اشتد استيائهم على سانشو الأول وربما أرجعوا عجزه عن مواجهة المسلمين إلى افراطه فى السمنة وعدم قدرته على ركوب الخيل ، فاجتمع رأيهم على عزله ، فعزل وخلفه اردونيو الرابع أما سانشو الأول فقد لجأ إلى بلاط جدته الملكة طوطة فى نافار (نبرة) التى لم تتردد فى اصطحابه إلى قرطبة عام ٣٤٧ هـ (٩٥٩ م) وبرفقتها ابنا غرسية بن سانشو الأول ملك نافار ، مستهدفة من هذه الرحلة طلب المساعدة من الخليفة عبد الرحمن الناصر لاعادة حفيدها إلى عرش ليون ولمعالجته من السمنة المفرطة على يد أطباء قرطبة الماهرين وذلك نظير التخلي عن عشرة حصون واقعة على الحدود ، فوافق الناصر وأرسل قوة إسلامية أعادت سانشو إلى عرش مملكة ليون^(٢) .

توفى عبد الرحمن الناصر فى الثانى من رمضان سنة ٣٥٠ هـ (الخامس عشر من أكتوبر سنة ٩٦١ م) ، وخلفه ابنه وولى عهده الحكم المستنصر الذى تابع سياسة ابيه ازاء نصارى الشمال ، فعمل على التصدى لسياستهم التوسعية واستعمل فى ذلك الأساليب الدبلوماسية والعسكرية معا . وكان الناصر — كما سبق أن ذكرت — قد علون سانشو الأول ملك ليون على استرداد عرشه من منافسة اردونيو الرابع مقابل ان يسلم النصارى بعض حصون الحدود إلى

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ٢٢١ ، سالم ، قرطبة ، ح ١ ، ص ٢١٠ .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ٣٥ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ح ١ ، ص ٣٤٢ ،

٣٤٣ .

Levi provençal, Histoire, Vol, III, P. 176.

المسلمين ، إلا أن سانشو الأول تراجع عن تنفيذ وعوده . وفي نفس الوقت وفد أردونيو الرابع على غالب الناصري في مدينة سالم ، وصحبه الأخير إلى مدينة قرطبة ، فدخلها في أواخر شهر صفر سنة ٣٥١ هـ (الثامن من أبريل سنة ٩٦٢ م) ، فاستقبله المستنصر استقبالا رائعا وعندما مثل أردونيو أمام الخليفة الحكم المستنصر تضرع إليه أن يعيده إلى عرشه مؤكدا أنه ليس مثل ابن عمه سانشو الأول الذي خالف شروط الاتفاق مع الناصر ووعد بأن يضع نفسه وأرضه وشعبه تحت تصرف الخليفة المستنصر ، فأكرمه المستنصر ووعد به باعادته إلى عرشه على شرط ان يتعهد بحفظ السلام بينه وبين الخلافة الأموية وأن يترك ابنه رهينة في قرطبة ، وبمجرد أن وقع أردونيو الرابع اتفاقية الصلح وضع المستنصر تحت امرته جيشا على رأسه قائده غالب الناصري^(١) .

وعندئذ تخرج مركز سانشو الأول ملك ليون وأدرك النهاية المتوقعة فجلبقية رفضت أن تعترف به حتى الآن ، وبدا أنها سوف تؤيد أردونيو الرابع لو عاد بقوة إسلامية ، ثم ان الامارات الأخرى التي كانت موالية لسانشو الأول نفسه كانت لا تميل إليه ، وربما كانت تنوى التمرد عليه حتى لا تعرض نفسها للغزو الاسلامي ومن ثم فقد اتخذ سانشو قرارا ، فبعث إلى الخليفة الحكم المستنصر وفدا من كبار رجالات دولته ، يعرض عليه أن يعترف بطاعته ، ويتعهد بتنفيذ ما تنازل عنه للمسلمين من الحصون الواقعة على الحدود للناصر وهدم البعض الآخر . ولكن أردونيو الرابع ما لبث أن توفي ، مما بدد مخاوف سانشو الأول ، وجعله يطمئن على عرشه ، فقد مات منافسه ، وقرر سانشو الأول الاستعانة بحلفائه القدامى من اخوانه ملوك نبره ، وفرناندو جونثال كونت

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٦٥ ، عنان ، دولة الاسلام ، ج ٢ ، ص ٤٨٤ - ٤٨٦ ، سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٩٠ .
Dozy, Histoire, Vol, II, P. 448; Levi provençal, Histoire, Vol, II, P. 176.

قشتالة ، وكونت برشلونة وغيرهم من الامراء النصارى^(١) .

وفي عام ٣٥٢ هـ (٩٦٣ م) ، استنفر الحكم المستنصر جيوش الأندلس للجهاد ، فاجتمعت إليه في مدينة طليطلة ، فاخترق أراضي قشتالة ، واستولى على قلعة شنت اشتين الحصينة ، واجبر كونت قشتالة على طلب الصلح وعاد غائما ظافرا إلى قرطبة^(٢) . ويغلب على الظن أن القشتاليين نكثوا عهدهم مما جعل الخليفة الحكم المستنصر يرسل في نفس العام قائده غالب الناصري لغزو أراضي قشتالة ، « فجمع له القشتاليون فهزمهم واستباح بلادهم »^(٣) .

وفي العام التالي (٣٥٣ هـ / ٩٦٤ م) سار غالب الناصري في جيش كبير ، وأفتتح مدينة قلهرة^(٤) من قواعد نافار الغربية ، فعمرها ، وأعتنى بها^(٥) . وفي عام ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م) سار غالب الناصري إلى بلاد ألبه ومعه القائدين يحيى بن محمد التجيبى ، وقاسم بن مطرف بن ذى النون ، فأفتتح حصن غرماج على نهر دويرة على مقربة من مدينة سالم ، وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر قد أنترعه من النصارى في التاسع من شوال ٣٢٩ هـ (السابع من يوليو عام ٩٤٠ م) والظاهر أن القشتاليين بقيادة فرناندو جونثال كانوا قد أستولوا عليه فيما أستولوا عليه من قواعد الحدود قبل أن يخرج الحكم المستنصر

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ ، ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ٣١٢ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٦٥ ، عنان ، دولة الاسلام ، ج ٢ ، ص ٤٨٦ ، سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٩٠ .

Levi Provençal, Histoire, Vol, II, P. 177.

(٢) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ٣١٣ ، المقرئ ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٥٩ ، عنان ، نفسه ، ص ٤٨٦ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ٣١٣ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٥٩ .

(٤) تقع قلهرة Calahorra في شمال غرب مدينة سرقسطة وتبعد عن مدينة تطيلة بنحو ٤٢ كم .

الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٢٤٨ ، الفاسى ، الاعلام الجغرافية الأندلسية ، ص ٣٣ .

(٥) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ٣١٣ ، المقرئ ، المصدر السابق ، ص ٣٥٩ ، عنان ، دولة الاسلام ، ج ٢ ، ص ٤٨٧ ، سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٩٠ .

Levi provençal, Histoire, Vol, III, P. 179.

للغزو فاسترده غالب الناصري^(١). ويروى ابن عذارى فى حوادث عام ٣٥٥ هـ (٩٦٦ م) خروج غالب الناصري لغزو أراضى قشتالة فيقول : « وفى سنة ٣٥٥ هـ ، أغزى الحكم القائد غالباً ، ففتح الله فى المشركين وانصرف سالماً » بينما يروى فى حوادث عام ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) أنه فى يوم الجمعة الموافق السادس والعشرين من شهر شوال سنة ٣٥٦ هـ (الرابع من أكتوبر سنة ٩٦٧ م) قرىء بمسجد قرطبة الجامع كتاب فتح ورد من القائد غالب الناصري ، يذكر فيه ما حققه بجيوش قشتالة من القتل والسبى ، ثم أعقب ذلك دخول رؤوس القتلى مدينة قرطبة^(٢) . ويبدو أن المسيحيين استردوا حصن قلهرة الذى سبق أن افتتحه غالب الناصري عام ٣٥٣ هـ (٩٦٤ م) ، إذ يشير ابن عذارى إلى خروج القائد غالب الناصري فى شهر رمضان سنة ٣٥٧ هـ (يوليو — أغسطس سنة ٩٦٨ م) بصحبة القائد سعيد بن الحكم الجعفرى على رأس جيوش الثغر بالصائفة على حصن قلهرة ، فأقاما عليه ، وأشرفا على استكمال بناء دفاعاته وتحصيناته ، ثم عادا إلى قرطبة^(٣) .

وفى عصر الخليفة الحكم المستنصر عاود النورمانديون^(١) الاغارة على سواحل الأندلس . ففى أول رجب سنة ٣٥٥ هـ (يونيو ٩٦٦ م) وردت رسالة من قصر أبى دانس^(٢) Alcacer do Sal الواقع جنوبى الأشبونة

(١) عن النورمانيين وأصلهم وموطنهم وغاراتهم على الأندلس راجع : مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٩٩ ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، العذرى ، ترصيع الأخبار ، ص ٩٨ ، ٩٩ ، ابن حيان ، المقبتس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٢٦ وتعليق رقم ٨٦ ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ص ٣٠٧ — ٣٠٩ ، ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، ح ٥ ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، ح ١ ، ص ٤٩ ، ٥٠ ، ابن الآبار ، الحلة السراء ، ح ١ ، ص ١٦١ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٢١ ، ابن خلدون ، العبر ، ح ٤ ، ص ٢٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، النويرى ، نهاية الأرب ، ح ٢٢ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ح ١ ، ص ٣٢٧ ، مؤنس ، غارات النورماندين على الأندلس بين سنتي ٢٢٩ — ٢٤٥ هـ ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد الأول ، المجلد الثانى ، مايو ١٩٤٩ م ، ص ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ — ٤٢ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ١ ، ص ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط (البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس) ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ١٥٢ — ١٦٦ ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٤٨ — ١٦٠ ، مؤنس ، معالم تاريخ المغرب الأندلس ، ص ٢٨١ ، ٢٨٢

Dozy, Histoire, Vol, I, P. 260 - 262.

Aguado Bleye, Historia de España, P. 415 - 416.

Levi provençal, Histoire, Vol, I, P. 223 - 235.

(٢) قصر أبى دانس ، حصن فى ناحية الجوف فى الأندلس ، يقع فى منطقة الحدود بين كورق الأشبونة وباجة . وهو منسوب إلى بانيه أبى دانس بن عوسجة المصمودى ، ذكره ابن حزم فى سياق كلامه عن المصامدة فى الأندلس ، وقال : « وبنودانس بن عوسجة كانوا أصحاب قلنبيرة والى جدهم ينسب قصر أبى دانس فى الجوف » . ويسمى الموضع حالياً Alcacer do sal (بالبرتغالية قصر الملح) وهو يقع على نهر شطوبر الذى يسمى اليوم SADO وهو نهر صغير يصب فى بحيرة ضحلة صغيرة متصلة بالبحر تسمى اليوم Setubal ، وقد أعاد الحكم المستنصر بناء الحصن بعد غارة النورماندين على غرب الأندلس سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠ م) ، وكان لقصر أبى دانس دور عظيم فى العصر الموحدى ، نظرا لاهتمام خلفاء الموحدين بالدفاع عن غرب الأندلس ، وفى سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ م) استعان البرتغاليون فى الاستيلاء على الحصن بأسطول من الصليبيين الألمان ومع ذلك لم يسقط فى أيديهم إلا بعد قتال مرير وحصار طويل فى جمادى الثانية ٦١٤ هـ (سبتمبر ١٢١٧ م) فى يد الفونسو الثانى ملك البرتغال ولا زالت بقية الحصن العربى قائمة فيه .

راجع : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٤٦٦ ، أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٦٩ ، الحميرى ، الروض المعطار ، ص ١٦١ ، ١٦٢ ، محمد الفاسى ، الاعلام الجغرافية الأندلسية ، =

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ٣١٤ ، المقرئ ، المصدر السابق ، ص ٣٦٠ ، عنان ، المرجع السابق ، ص ٤٨٧ .

Levi provençal, Histoire, P. 179, n.2

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ٢٤٠ .

(٣) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٤١ .

Levi provençal, Histoire, Vol, II, P. 179.

(لشبونة)^(١) تشير إلى قيام النورماندين في ثمانية وعشرين مركبا بمهاجمة قصر ألى دانس ، وعاثوا في تلك المنطقة ، ثم زحفوا شمالا إلى بسائط أشبونة ، وعاثوا فيها تخريباً ونهباً ، واجتمع المسلمون في تلك المنطقة لقتالهم ، ونشبت بين الطرفين معركة دامية ، أسفرت عن هزيمة ساحقة للنورماندين . وفي نفس الوقت خرج أسطول أشبيلية من نهر الوادى الكبير بقيادة أمير البحر عبد الرحمن بن رماحس وتمكن من اللحاق بالأسطول النورماندى عند مصب وادى شلب ، فدمر معظم قطعه وانقذ من كان بها من أسرى المسلمين^(٢) . إلا أن النورماندين عادوا مرة أخرى إلى تهديد السواحل الغربية للأندلس في أوائل رمضان سنة ٣٦٠ هـ (يونيو سنة ٩٧١ م) ، فعهد الخليفة الحكم المستنصر إلى عبد الرحمن بن محمد بن رماحس قائد البحر بالخروج إلى مدينة المرية لحشد الأسطول الاسلامى المرابط بها والمسير إلى السواحل الغربية للأندلس ، فخرج ابن رماحس من قرطبة يوم الاثنين السادس من رمضان ٣٦٠ هـ (الثالث من يوليو سنة ٩٧١ م) في طريقه إلى المرية . كما أستقدم الخليفة القائد غالب الناصرى وكان حاضراً يومئذ بقرطبة ، وعهد إليه بالإشراف على القوات البرية والبحرية التى أعدت لمداغمة النورماندين : « لضلأعته وغنائه وعلمه بثقوب نظره ومحمود اكتفائه وحد له حدوداً أمره بالتزامها والوقوف عليها وبسطه أتم بسط وقربه أفضل تقرب ، وأستودعه الله عز وجل وأمره بالنهوض والأخذ في شأنه وانطلق وهو يشيعه بدعائه ويسئل الله له وللمسلمين جميل صنعه وحسن

== ص ٣٣ ، وارجع أيضا إلى سحر السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ السياسى لبطلينوس الاسلامية (رسالة ماجستير ، الاسكندرية ، ١٩٨٤) ص ١٦٨ وما يليها .

(١) تقع أشبونة على الضفة الشمالية لنهر تاجة Tajo عند مصبه في المحيط الأطلسى . وهى عاصمة جمهورية البرتغال الحالية (لشبونة) وتتصل كورة الأشبونة بكورة باجة في جنوبها الشرقى وبكورة شنترين في شمالها الشرقى .

أنظر عن أشبونة : الأدريسى ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٨٣ — ١٨٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ح ٤ ، ص ٣٥٦ ، الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٦ — ١٨ ، راجع أيضا : سحر السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، عنان ، دولة الإسلام ، ق ٢ ، ص ٤٨٨ ، سالم ، البحرية في المغرب والأندلس ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

Levi Provençal, Histoire, Vol, II, P. 170.

عاقبته»^(١) . ويشير ابن حيان إلى أن الخليفة الحكم المستنصر أمر بتوفير كل ما يحتاج إليه من سلاح وعدة ، وأقيم احتفال كبير في قرطبة بمناسبة خروج غالب الناصرى « وفصل للغزوة وبين يديه العدة والعديد وصف من الجند قد غص بهم الطريق ، فنفذ لسييله»^(٢) . ومن المرجح أنه لم تقع أية معارك هامة بين المسلمين والنورماندين ، إذ لم يحدثنا ابن حيان عن وقوع مثل هذه المعارك . بل أننا نستدل من خلال حديثه عن الاحتفال بعودة غالب من غزوته أن الله تعالى كفى المسلمين القتال وأنه لم يقع قتال بين المسلمين والنورمان والأرجح أن النورمان ارتدوا من تلقاء أنفسهم لما رأوا من تفوق قوى المسلمين . ويهنىء الشاعر محمد بن حسين الطنبى الخليفة الحكم بهذه النتيجة العظيمة فيقول :

بَسْعَدُكَ يُبْلَى غَالِبٌ لَا بِيَأْسِهِ فَأَنْتَ وَلَى الشُّكْرِ فِي كُلِّ مَا أُبْلَى
وَبِاسْمِكَ يَغْدُو أَغْزَلُ الْجَيْشِ رَاغِباً وَلَوْلَاكَ كَانَ الرَّمْحُونَ بِهِ عُزْلَا
رَمَيْتَ بِهِ جَيْشَ الْجَوْسِ عَنَايَةً بِتَحْصِينِكَ التَّقْوَى وَتَأْمِينِكَ السُّبُلَا
وَلَمَّا أَحَاطَتْ بِالْحَيْطِ جُنُودُهُ فَلَمْ تَبْقَ مِنْ شَطِيهِهِ عُلُوءٌ وَلَا سَفْلًا^(٣)

وفي يوم الجمعة الثانى من شهر صفر سنة ٣٦١ هـ (الرابع والعشرين من نوفمبر سنة ٩٧١ م) وصل غالب الناصرى إلى فحص السراشق قافلا من غزاته إلى السواحل الغربية للأندلس ويصف ابن حيان الاحتفال الكبير الذى أقيم له بقرطبة بمناسبة عودته بقوله : « فاستركب (أى الخليفة الحكم المستنصر) إليه الجيوش يوم السبت بعده من قصر قرطبة فى التعبئة المنتظمة بالعدد الفخمة ، فيها الشطرنج والألوية ، فتقدم من محلته وبين يديه المراكب على أجل هيئة وأتم أهبه ، إلى أن وصل إلى قصر قرطبة والخليفة يومئذ مقيم به ، فتوصل إليه وقعد بين يديه ملياً مفاوضاً له ومسائلاً عن حركاته وتقلبه فى غزاته التى كفى الله فيها المسلمين القتال وكان الله قويا عزيزا . فخلع عليه وانطلق إلى داره ، محموداً سعيه»^(٤) .

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . الحجى ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٦١ .

(٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٦٦ — ٦٧ .

دور غالب الناصري في أحداث المغرب الاسلامي

أهتم الأمويون في الأندلس إهتماماً بالغاً ببلاد المغرب منذ قيام الدولة الفاطمية عام ٢٩٦ هـ/٩٠٩ م ، إذ كانت عدوة المغرب تتطلع إلى السيطرة على الأندلس والقضاء على دولة بنى أمية السنية ، وكانت لذلك تشجع الخارجين في الأندلس على الحكومة المركزية وتزودهم بالعدد والسلاح ، فكانت السفن الفاطمية تتردد تباعاً على سواحل جنوب شرق الأندلس تحمل من المعدات والأقوات ما يعين عمر بن حفصون وبنه على مناوئة الحكم الأموي في قرطبة وتدميره . وكان ذلك حافراً لعبد الرحمن الناصر على اصطناع سياسة بحرية لمنع سفن الفاطميين من الاقتراب من سواحل الأندلس ، كما أنه نقل المعركة بينه وبينهم إلى المغرب بعد أن وإلى القبائل الزناتية الأعداء التقليديين لقبائل صنهاجة وكتامة التي كانت تؤيد الفاطميين . وقد اضطّر الأمويون في الأندلس إلى محاربة الأدارسة حلفاء الفاطميين وأرغموهم في نهاية الأمر على طلب الصلح من الخليفة عبد الرحمن الناصر والأعتراف بطاعته^(١) .

ثم تطور الصراع بين الأمويين والفاطميين إلى صدام بحري مسلح ، ففي عام ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) أنشأ الخليفة عبد الرحمن الناصر مركباً كبيراً بدار الصناعة بالمرية وسير فيه أمتعة إلى بلاد الشرق ، فلقى في البحر مركباً يحمل رسولا من أمير صقلية إلى الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ، فقطع عليه أهل المركب الأندلسي واستولوا على ما يحمله ، فلما بلغ الخليفة المعز بما حدث ،

(١) عن الصراع الأموي الفاطمي راجع : البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، جزء من كتاب المسالك والممالك ، طبع دى سلان ، الجزائر ، ١٩١١ ، ص ٨٨ ، ٨٩ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ابن حيان ، المقتبس ، نشر بدور شاليتا ، ص ٢٨٩ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ح ١ ، ص ١٩٩ ، ٢٠١ ، ح ٢ ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، الجزء الخاص بالمغرب ، نشر وتحقيق د . أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني ، الرباط ، ١٩٦٤ م ، ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، سالم ، المغرب الكبير ، العصر الاسلامي ، ص ٦١٠ ، ٦١٢ ، ٦١٣ .

Levi provençal, le politica africana de Abd-Al-Rahman, III, Al-Andalus, Vol, XI, Fasc, 2, 1948, P. 351-378.

حشد أسطولاً قوياً وولى عليه الحسن بن علي صاحب صقلية وسيره إلى الأندلس ، فوصلوا إلى ميناء المرية ، ودخلوا مرساها وأحرقوا جميع ما فيه من المراكب ، ثم استولوا على المركب الأندلسي الكبير وكان قد عاد من الاسكندرية مشحوناً بأمثلة وجواري ومغنيات للخليفة عبد الرحمن الناصر ، ثم صعد رجال الأسطول الفاطمي إلى البر ، فقتلوا ونهبوا ورجعوا سالمين إلى المهديّة^(١) . وكان رد الفعل الأموي بأن أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر باعداد أسطول أموي من ستين سفينة بقيادة غالب بن عبد الرحمن الناصري ، فقام في العام التالي (٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م) بمهاجمة سواحل المغرب التابعة للفاطميين^(٢) .

ظل الأدارسة على طاعة الأمويين إلى أوائل عام ٣٦١ هـ (٩٧١ م) ، عندما أرسل الخليفة المعز لدين الله الفاطمي قائده بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي غازياً إلى بلاد المغرب الأقصى للانتقام من قبيلة زناته لقتلهم والده زيري بن مناد الصنهاجي وكانت قبيلة زناته من القبائل المغربية المحالفة للدولة

(١) تقع المهديّة على ساحل المغرب الأدنى وهي على اسم عبيد الله المهدي والسبب في بنائها كعاصمة جديدة للدولة الفاطمية الناشئة يرجع إلى شعور المهدي بالحاجة إلى حصن يحتوى فيه إذا ما تغيرت عليه نفوس رعاياه الذين كانوا سنيين في معظمهم . ولذا اختار المهدي عاصمته الجديدة على شبه جزيرة بالساحل التونسي بين سوسة وصفاقص كى يتسنى له الاعتماد على أسطولها في حماية المدينة وتموينها من البحر ابان الأزمات ثم أن هذا المكان الساحلي يعتبر قاعدة بحرية هامة للمشروعات التي كانت تدور بخلفه وقتئذ مثل الاستيلاء على مصر والأندلس وسواحل البحر المتوسط . ويروى المؤرخون أن الخليفة المهدي قد أشرف بنفسه على بناء مرسى المهديّة . كما أنشأ على ساحلها داراً كبيرة للصناعة ، ثم بنى المهدي حولها أسواراً محكمة ذات أبواب ضخمة . ويقال أنه لما فرغ من بنائها قال « آمنت اليوم على الفاطميات » وهذا دليل على حصاناتها .

راجع : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ح ٨ ، ص ٣٥ ، مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص ١١٧ — ١١٨ ، المقرئ ، أتعاط الحنفا ، ح ١ ، ص ١٠١ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٤٦ — ٤٨ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ٢٢١ ، سالم ، المغرب الكبير ، ص ٦١٢ ، ٦١٣ ، المرية قاعدة الأسطول الاسلامي في الأندلس ، ص ٣٨ ، ٣٩ ، البحرية في المغرب والأندلس ، ص ١٧٧ .

Levi provençal, Histoire, Vol, II, P. 108.

الأموية في الأندلس ، وكان قد أنضوى تحت لوائهم جعفر ويحيى ابنا علي بن حمدون المعروف بالأندلسي وهما من أصل بربري من قبيلة كتامة البربرية ، وأول من دخل من أسرته إلى الأندلس جدهم الأكبر عبد الحميد ، وكان نزوله بكورة البيرة ، ثم انتقل حفيده حمدون إلى بجاية فاستقر بها ، وقد خرج حمدون هذا مع ابنه علي إلى المشرق سنة ٢٨٧ هـ (٩٠٠ م) لأداء فريضة الحج ، وفي طريق عودتهما من الحجاز ، نزلا بالمغرب حيث اتصل علي بن حمدون بأبي عبد الله الشيعي داعي دعاة الشيعة الفاطميين ببلاد المغرب وقيل ان أبا عبد الله الشيعي هو الذي أطلق على علي بن حمدون إسم علي وكان أبوه قد سماه « بشعلة » فأرتفعت مكانة ابن حمدون ومنزلته عند الفاطميين عقب قيام دولتهم في المغرب ، فأسندوا إليه الاشراف على بناء مدينة المسيلة وولاه الخليفة عبيد الله المهدي عليها . وكان علي بن حمدون قد تزوج من ميمونة بنت علاهم الجيلي التي تنتمي إلى بطن من بطون قبيلة كتامة البربرية وأنجب منها ولديه جعفر ويحيى . وقد ظل علي بن حمدون في خدمة الدولة الفاطمية حتى قتل سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٦ م) أثناء قتاله لأبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى الخارجى الثائر على الفاطميين في المغربين الأدنى والأوسط ، وكانت له معهم حروب كثيرة . ثم تولى جعفر بن علي بن حمدون على المسيلة عقب وفاة والده وظل عليها إلى أن قام زيرى بن مناد الصنهاجي القائم على حكم المغرب باسم الفاطميين بقتل محمد بن الخير بن خزر أمير زناته والقائم بدعوة بنى أمية في المغرب ، وتمكن زيرى من الاستيلاء على فرس من عتاق الخيل كان الخليفة المعز لدين الله الفاطمي قد أهداها لجعفر بن علي بن حمدون فقام جعفر باهدائها إلى محمد ابن الخير بن خزر ، فأرسل زيرى بن مناد الصنهاجي هذه الفرس مع خطابات أخرى منسوبة إلى جعفر بن علي ، كان قد أرسلها إلى محمد بن الخير ، يطلعه فيها على عورات زيرى بن مناد ويخزرها منه ، فلما علم الخليفة المعز لدين الله بتحول جعفر بن علي بولائه إلى الزناتيين ، استدعاه بأهله وولده وماله إلى حضرته ، وكتب إليه يعزيه عن محمد بن الخير متقرباً له ، وأشار إلى الفرس التي عثر عليها بخوزته بقوله : « أعظم الله أجرك

في خليلك ، فقد أجاد قتالنا على الفرس التي كنا حملناك عليه ، وأثرناك به على أنفسنا » . فعند ذلك أسقط في يد جعفر بن علي وايقن بالموت لا محالة ، فخرج من المسيلة مع أخيه يحيى وجميع أهله وولده وعبيده وماله في جمادى الآخرة سنة ٣٦٠ هـ (أبريل سنة ٩٧١ م) إلى بنى خزر امراء زناته وأعلنوا خضوعهم للخليفة الحكم المستنصر ، وأجتمعت قوات بنى خزر وجعفر ويحيى على قتال زيرى بن مناد ودارت بينهما الحرب وانهمز زيرى وقتل معه معظم رجاله في شهر رمضان ٣٦٠ هـ (يونيو — يوليو سنة ٩٧١ م) وأحترق الزناتيون رأس زيرى ورؤوس عدة من أكابر قواده ، وحملوها معهم جعفر ويحيى إلى قرطبة حيث أستقبلهم الخليفة الحكم المستنصر استقبالا رافعا في قصر الزهراء (١) .

كان رد الفعل الفاطمي عنيفاً ، إذ سير الخليفة المعز لدين الله قائده بلكين ابن زيرى ، وأمره باستئصال قبيلة زناته واخضاعها ، ووصل بلكين إلى المغرب الأقصى وفي يوم الخميس السابع عشر من ربيع الآخر سنة ٣٦١ هـ (السادس من فبراير سنة ٩٧٢ م) التقى بلكين مع محمد بن الخير بن خزر أمير زناته ، فهزمه بلكين شر هزيمة ، واثخن في رجاله ، وقتل جماعة من امراء زناته ، فلما أيقن محمد بنهائته ، اتكأ على سيفه فذبح نفسه حتى لا يقع أسيراً في أيدي بلكين . فملك بلكين المغرب بأكمله ، وقطع منه الدعوة للأمويين ، وقتل أوليائهم ، وأخذ البيعة على جميع أهل المغرب للخليفة المعز لدين الله ، فكان أول من سارع إلى بيعة المعز ونصرته وقتال أنصار المروانيين معه الحسن بن كنون (٢) .

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجي ، ص ٣٣ — ٣٨ ، ابن الآبار ، الحلة السيرة ، ح ١ ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ، ص ٥ — ٨ ،

Levi provençal, Histoire, Vol, II, P. 187 - 188.

(٢) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ ، ابن الآبار ، المصدر السابق ، ح ١ ، هامش (٢) ص ٢٢٧ ، ابن عذارى ، المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٢٤٤ ، ابن أبي زرع ، الأيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، طبعة فاس ، ١٣٠٥ هـ ، ص ٥٦ ، السلاوى ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، طبعة الدار البيضاء ، بدون تاريخ ، ح ١ ، ص ٢٠٠ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٤٩٤ .

فلما بلغت هذه الأنباء الخليفة الحكم المستنصر ، عزم على انفاذ جيش كبير إلى بلاد المغرب لقتال الحسن بن كنون . وفى يوم الخميس الثانى عشر من رمضان سنة ٣٦١ هـ (السابع والعشرين من يوليو سنة ٩٧٢ م) استدعى الحكم المستنصر الوزير القائد محمد بن القاسم بن طملس ، وعهد إليه بالاستعداد للخروج إلى مدينة سبتة : « فتقدم بتوصيته بتقوى الله ربه ، وإيقاظ رأيه وعزمه ، واستعمال جهده وجده فى مغاورة الفاسق حسن وأخامد ناره »^(١) . فلما اكتملت الاستعدادات ، خرج محمد بن القاسم بن طملس من قرطبة ، فركب البحر من الجزيرة الخضراء ، يوم السبت التاسع عشر من شوال سنة ٣٦١ هـ (الثانى من أغسطس ٩٧٢ م) إلى مدينة سبتة ، كما أمر الحكم المستنصر قائد البحر عبد الرحمن بن محمد بن رماحس بحشد الأسطول الأندلسى أمام السواحل المغربية ومن سبتة اتجه محمد بن القاسم إلى مدينة تطاون فألفاها خاليه ، ومنها تقدم إلى مدينة طنجة ، وكان بداخلها الحسن بن كنون ، فولى هارباً فى خاصة من أصحابه ، فاستسلم أهل طنجة لمحمد بن القاسم بن طملس فمنحهم الأمان ، بينما سار الحسن بن كنون إلى جبل حصين يسمى جبل الريح ، تحصن فيه ، فتبعه الجند ، وانقضوا عليه من كل جانب فانهزم الحسن بن كنون ، وفر لا يلقى على شىء ، بينما مضى محمد ابن القاسم بعسكره إلى مدينة أصيلا ، ففتحها ودخلها^(٢) .

أعاد الحسن بن كنون تجميع فلوله وتنظيم صفوفه ، وزحف للقاء محمد ابن القاسم بن طملس ، والتقى الجيشان باحواز طنجة بموضع يعرف بفحص مهران^(٣) وقيل فحص بنى مصرخ^(٤) يوم الأحد الثالث والعشرين من ربيع

الأول سنة ٣٦٢ هـ (الثلاثون من ديسمبر سنة ٩٧٢ م) ، فدارت الدائرة على الجيش الأندلسى ، وقتل قائده محمد ابن القاسم بن طملس وخمسائة من الفرسان وألف من رجاله وفر الباقون إلى مدينة سبتة ، فدخلوها ، وتحصنوا بداخلها ، وكتبوا إلى الخليفة الحكم المستنصر يستغيثون به^(١) . وفى نفس الوقت بعث قائد البحر عبد الرحمن بن محمد بن رماحس والقواد المرافقين له ، بخطاب إلى الخليفة الحكم المستنصر يذكران له فيه أن الحسن بن كنون عرض عليهم عقد السلم وطلب الأمان له ولانصاره والعودة لطاعة الخلافة الأموية وتبادل الرهائن بين الجانبين والاجتماع على قتال الفاطميين ، فرفض الحكم المستنصر ، ورد على قواده قائلاً : « وكيف يذهب الآن هذا المذهب ، وهو فى طغيانه مستمر وفى دينه مستبصر ولكم فى كل أيامه محارب ! هذا هو الضلال والمحال عين المحال وسبب الخبال ، وقد رأى أمير المؤمنين تأمين جميع الناس لديه غيره ، وغير من أصر أصراره ، وتمادى تماديه إلى أن يحكم الله عليه ، ويفتح فيه ، وهو خير الفاتحين لا شريك له ، فلا يتعرض أحدكم لمقاولة أحد ممن يأتى عنه ، فانظروا فى أمركم وجدوا فى تثقيف ماله قدمتم نظراً يدل على اجتماع نفوسكم وتآلف بصائركم وتضافر أيديكم ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربحكم والله المستعان لا رب سواه »^(٢) .

استدعى الخليفة الحكم المستنصر قائده غالب بن عبد الرحمن الناصرى لقتال الحسن بن كنون ، فوصل قرطبة فى أواخر جمادى الآخرة سنة ٣٦٢ هـ (أبريل سنة ٩٧٣ م) ونزل بفحص السراق انتظاراً لحشد الجيوش الأندلسية ، ثم تقدم إلى مدينة الزهراء فى احتفال كبير للقاء الخليفة الحكم

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٧٩ — ٨١ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٧٩ — ٩١ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ٢٤٤ — ٢٤٦ ، مجهول ، مفاخر البربر ، ص ٨ ، ٩ .

(٣) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٩٦ ، ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .

(٤) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٥٦ ، مجهول ، مفاخر البربر ، ص ٩ ، السلاوى ، الاستقصا ، ح ١ ، ص ٢٠٠ .

(١) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٩٦ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ٢٤٦ ،

ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٥٦ ، مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ، ص ٩ ، السلاوى ، الاستقصا ، ح ١ ، ص ٢٠٠ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٤٩٥ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى . ص ٩٧ ، ٩٨ .

المستنصر ، فأعطاه الخليفة أموالاً وعدداً كثيرة وجيوشاً وافرة^(١) . وأمره بقتال الأدارسة واستنزاهم من معاقلهم ، وقال له عند وداعه : « يا غالب سر مسير من لا أذن له في الرجوع إلا حياً منصوراً وميتاً معذوراً ، ولا تشح بالمال وأبسط يدك به يتبعك الناس »^(٢) . وفي أوائل شهر شعبان سنة ٣٦٢ هـ (مايو سنة ٩٧٣ م) خرج القائد قاسم بن محمد بن قاسم بن طملس إلى الجزيرة الخضراء بفرقة من الجند مدداً لغالب الناصري ، كما أرسل الحكم المستنصر الأموال الوفيرة لتوزيعها على قواده وجنده بمناسبة قرب حلول شهر رمضان المبارك . كما أرسل الحكم المستنصر لغالب الناصري عشرة آلاف دينار لتوزيعها على زعماء القبائل الخارجين عن طاعة الحسن بن كنون : « استئلفا لهم واستصفاء لبصائرهم » فضلاً عن فاخر الثياب والسيوف المحلاة للخلع عليهم^(٣) . وفي نفس الوقت ورد كتاب من غالب الناصري إلى الخليفة الحكم المستنصر يذكر فيه أنه ورد عليه بالجزيرة الخضراء كتاب عبد الكريم بن يحيى ومحمد بن يحيى الصنهاجي صاحبي مدينة فاس ، وكتاب من اسماعيل ابن البوري ويحيى بن البوري وغيرهم من وجوه أهل المغرب مؤكدين ولاءهم وطاعتهم للخلافة الأموية ، وأنه اجابهم بقبول الولاء والطاعة ، فرد عليه الحكم المستنصر : « باحماذ رأيه وحسن موقعه من سلطانه وابلاغه بالازدياد منه » . كما أخبره الخليفة بموافقته على ارسال محمد بن حسين التميمي المعروف بالطنبني إليه ليستعين به لسابق خبرته بأحوال بلاد المغرب ، وكان غالب الناصري قد كتب إليه برغبته في استصحابه له ، وقال له الخليفة : « وأن أمير المؤمنين عهد بتوجيه محمد بن حسين الطنبني اليك على ما رغبت فيه ، فقد وقع اختيارك منه على خيار وثقة في جميع أحواله ، مع نفاذ دربته وصدق ممارسته لما يرمى إليه ،

ولن يألوك عوناً وتزيينا ان شاء الله »^(١) . ثم استحضر الخليفة الحكم المستنصر محمد بن حسين الطنبني وأمره بالخروج إلى العدو واستصحاب الوزير القائد غالب الناصري : « والتصرف في شئونه ومؤازرته في تديره »^(٢) .

فلما استكمل غالب الناصري حشوده ، أبحر من الجزيرة الخضراء يوم الأحد الحادي عشر من رمضان سنة ٣٦٢ هـ (الخامس عشر من يونيو سنة ٩٧٣ م) إلى ميناء طنجة فلما أقرب منها ، دفعته الرياح إلى مرسى بطنة المعروف بمرسى قبالة على مسافة تبعد نحو أربعة كيلو مترات غربى الجزيرة الخضراء ، فأرسي هناك مضطراً عدة أيام ، ثم اعاد الانحار ، ونزل بمرسى اليم المعروف بباب القصر على مقربة من طنجة يوم الاثنين الثاني والعشرين من رمضان سنة ٣٦٢ هـ (السادس والعشرين من يونيو سنة ٩٧٣ م) ثم ترك غالب الناصري طنجة متجهاً صوب الحسن بن كنون بمحلة جرماية فوصلها يوم الأربعاء الخامس من شوال سنة ٣٦٢ هـ (التاسع من يوليو سنة ٩٧٣ م) ودخلها ، بينما فر الحسن بن كنون إلى التحصن بمرتفعات جبل الكرم^(٣) . وفي نفس الوقت تحرك قائد البحر عبد الرحمن بن محمد بن رماحس بأسطوله إلى أصيلا ليكون على مقربة من غالب الناصري ، كذلك أرسل الخليفة المستنصر إلى غالب بالقبة الحمراء الفخمة البديعة « التى أمر باتخاذها له على حدّه ووصفه كيما يرفعه وسط محلته ويكون نزوله وقعوده فيها اسماً لقدره ورغماً لقلب عدوه ، وكانت غريبة الابتداء عجيبة الاختراع لها منظر رائع ومرأى فائق »^(٤) .

(١) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

(٢) ابن أبي زرع ، الروض القرطاس ، ص ٥٧ ، السلاوى ، الاستقصا ، ج ١ ، ص ٢٠٠ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجي ، ص ١٠٨ ، وأنظر أيضا : ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجي ، ص ١٠٨ . ١٠٩

(٢) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٠٩

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجي ، ص ١١٥ . ١١٦

(٤) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١١٦

ثم أرسل الخليفة الحكم المستنصر محمد بن أبي عامر^(١) إلى العدو باحمال من المال والحلى والخلع لتوزيعها على أكابر البربر الذين يمكن استمالتهم إلى جانب الخلافة الأموية ، وأصدر الحكم المستنصر في نفس الوقت مرسومه بتعيين محمد ابن أبي عامر قاضيا لقضاة العدو إلى جانب ما يتقلده من خطتي الشرطة

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري ، ينتهي إلى قبيلة معافر اليمنية وكانت أمه من بني تميم وهي بريمة بنت يحيى بن زكريا التميمي المعروف بابن برطال . وكان أول من دخل الأندلس من أسلافه جده عبد الملك مؤسس الأسرة الذي رافق طارق بن زياد في حملته ، وكان له في فتح الأندلس أثر ظاهر إذ أفتتح مدينة قرطاجنة . ثم استقر في الجزيرة الخضراء في قرية من أعمالها تسمى طرش . وقد حظى من هذه الأسرة عدد لدى امراء قرطبة منهم أبو عامر محمد بن الوليد في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط وساد بعده ولده عامر وتقدم عند الأمراء وولى كثيرا من الأعمال الهامة في الدولة ، وقد نقش الأمير محمد بن عبد الرحمن السكة ورقم الاعلام باسمه تنويهاً بعلو شأنه ورفعة مقامه . أما والده المنصور عبد الله المكنى بأبي حفص ، فكان من أهل الدين والزهد في الدنيا والعفو عن السلطان ، ابتعد عن زخرفها ولم يسع وراء ملذاتها ، سمع الكثير من الحديث وأدى فريضة الحج ، ومات في عودته من الحجاز بمدينة طرابلس الغرب في أواخر عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر .

وقد ولد محمد بن أبي عامر سنة ٣٢٧ هـ (٩٣٩ م) ونشأ في مقاطعة الجزيرة الخضراء في قرية طرش موطن عشيرته ومسكن أجداده وهي من أطيب بلاد الأندلس أرضا وأصلحها هواء ، ولم تذكر المصادر التاريخية شيئا عن طفولة محمد بن أبي عامر رغم الشهرة التي اكتسبها هذا الرجل فيما بعد ، والدور الكبير الذي لعبه في تاريخ مسلمي الأندلس .

والمعروف أنه ورد قرطبة عند مطلع شبابه لطلب العلم والأدب ، ولكن سرعان ما داخله الطموح والتطلع إلى السلطان ، واتصل بالسيدة صبح البشكنسية ، فنصبت لخدمتها وخدمة ابنتها عبد الرحمن فلما توفي عبد الرحمن بقي محمد بن أبي عامر في خدمتها . وكانت قد ولدت هشاما فاخترته لإدارة املاك هشام سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠ م) وكان قبل ذلك بقليل قد تم اختياره للإشراف على دار السكة بقرطبة في شوال ٣٥٦ (٩٦٧ م) ، ثم قدم إلى خطة المواريث في المحرم سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٨ م) . ثم تدرج في الوظائف الرسمية إلى أن شغل منصب الحجابة في عصر الخليفة هشام المؤيد .

راجع : ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٢٣ ، ابن حزم ، جوهرة انساب العرب ، ص ٤١٩ ، ابن بسلام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق ٤ ، المجلد الأول ، ص ٥٦ ، ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ح ٢ ، ص ٢٦٨ ، ٢٧٥ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ٢٥٧ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ابن الخطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، ح ٢ ، ص ١٠٢ .

الوسطى والعليا والمواريث وقضاء كورة اشبيلية^(١) . كما أرسل الحكم المستنصر إلى محمد بن أبي عامر وهو بطنجة مالا واسعا لينفقه بطنجة وأصيلا ، وكتب إليه : « وما يشك أمير المؤمنين في مناصحتك واجتهادك ، وشكرك للنعمة بك والمشملة عليك والله المستعان »^(٢) .

وفي يوم الخميس الثالث عشر من شوال سنة ٣٦٢ هـ (السابع عشر من يوليو سنة ٩٧٣ م) تقدم غالب الناصري للقاء الحسن بن كنون واتباعه . وكان ابن كنون قد حصن جبل مهران وجعل عليه ابنه وابن عمه ، بينما ضبط جبل الكرم بنفسه لمنع الجيش الأموي من السيطرة على نهر المصاراة الواقع بين جبلي مهران والكرم ، واندلع القتال بين الطرفين ، وقتل الكثير من اتباع الحسن بن كنون ، بينما لاذت فلوله بجبل الكرم ، وفي أثناء ذلك تلقى غالب الناصري رسالة من الحكم المستنصر رداً على كتاب الفتح الذي أرسله غالب إليه ، جاء فيها « يحمد مقامه ويشكر فعله ويستتب صبره وجده ، ويعرف أن أمير المؤمنين جاد في حرب الفاسق حسن ومحامته إلى الله ما أمتدت به حياة حتى يحكم الله بينهما بعذله »^(٣) . ثم أمر الحكم المستنصر بارسال الأخوة التجيبين يوسف وهاشم وهذيل بنى محمد بن هاشم التجيبى وأخوة العاصي ابن حكم بنى عمهم ، ومائة غلام من الرماه وطائفة من الفرسان مدداً لغالب الناصري^(٤) . ثم ورد على الخليفة الحكم المستنصر كتاب آخر من غالب الناصري يتضمن وصفا للقتال الذي دار بينه وبين الحسن بن كنون ، وكان له فيه الظهور عليه ، فقتل فيه من حماته عددا كثيرا ، ومن خاصته عشرين رجلا^(٥) .

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٢٣ .

(٢) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٢٥ .

(٤) ابن حيان ، المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٥) ابن حيان ، نفس المصدر ، نفس الصفحة .

وفي يوم الخميس الخامس من ذى القعدة سنة ٣٦٢ هـ (السابع من ذى القعدة سنة ٩٧٣ م) أحضر الخليفة الحكم المستنصر الوزير يحيى بن محمد ابن هاشم التجيبي وتحدث معه برغبته في انفاذه إلى العدو مددا لغالب الناصرى ، فغادر يحيى التجيبي قرطبة في عسكر ضخم حيث لحق بعسكر غالب الناصرى وقد أرسل الخليفة الحكم المستنصر لغالب كتابا يخبره بانفاذ يحيى التجيبي إليه جاء فيه : « وأن العهد عند الوزير القائد يحيى بن محمد مقرر بالخفوف اليك والبدار نحوك ، متى ورد كتابك في ليل أو نهار وان يتصرف كيف رأيت تصرفه فهو مدد لك وعون على محاولتك ، فانظر في جميع ما بين يديك ومن يحويه عسكرك نظر من أفرده أمير المؤمنين ببعثه وقلده ما بين يديه »^(١) . كما أرسل غالب الناصرى من محلته بالمصاراة للخليفة الحكم المستنصر كتابا يذكر فيه اعلان بنى ادريس الحسينيين أقارب الحسن بن كنون الطاعة للأمويين ويبدى تخوفه من عدم تمكنه من توفير المال والطعام لكثرة من وفد عليه من الحسينيين وبنى خزر ، فرد عليه الحكم المستنصر : « وقد كفك الله الاشتغال بالتفكير في مال أو طعام ، فموادها موصولة بك متلاحقة لديك ، حتى يفتح الله في الظالم القاطع بعدله ولو أتى ذلك على بيوت الأموال المترعة وأهراء الأندلس المغتصة ، فلو لم يبق منها غير ما في الأهواء الخاصة بقرطبة لاحتمل اليك جميع ما فيها » . بل أن الخليفة الحكم المستنصر عرض على غالب الناصرى ان ينتقل بنفسه إلى الجزيرة الخضراء ليكون على مقربة من مجريات الأحداث في المغرب^(٢) . كما أرفق الخليفة الحكم المستنصر بكتابه هذا كشفا باسماء كبار رجال الحسينيين وغيرهم من وجوه البربر المنحازين لطاعة الأمويين وبيان مفصل بالأموال والهدايا المرسله لكل واحد منهم^(٣) .

سار غالب الناصرى إلى حصن الكرم ، وكان الحسن بن كنون قد تحصن به ، ولما أدرك غالب استحالة الاستيلاء عليه لجأ إلى استماله أهل الحصن وكانوا

من كتامة ، وأرسل إليهم من نخبة رجاله خمسمائة فارس ومثلهم من الرجالة بالبنود والطبول والسلاح وأمرهم بمهاجمة الحصن من مكان حدده لهم ، ثم تحرك غالب ببقية جيشه وحاصر الحصن من مكان آخر ، فأحاط الكتاميون بالحصن من جهة ، وأحاط غالب الناصرى به من جهة أخرى ، وشددا حصارهما له ، فلم يجد الحسن بن كنون أمامه سوى الفرار إلى معقله بحصن الحجر^(١) ، ودخل غالب حصن الكرم يوم الخميس التاسع عشر من ذى القعدة سنة ٣٦٢ هـ (الحادى والعشرين من أغسطس سنة ٩٧٣ م) فاستولى على كل ما تركه الحسن بن كنون من الأمتعة والأقوات والأطعمة والأسلحة وغيرها ، كما أطلق سراح الكثير من وجوه قبائل البربر كان ابن كنون قد أرتنهم عنده وأوثقهم في الحديد ، كذلك ضم إلى صفوفه الكثيرين من اتباع ابن كنون الذين سارعوا باعلان الطاعة والولاء للأمويين ، ثم ترك على الحصن ألف فارس وخمسمائة من الرجالة لضبطه وحمايته ، ثم عاد إلى محلته بالمصاراة^(٢) . ثم أرسل غالب إلى الخليفة الحكم المستنصر كتاب تهنئة بالفتح ، فرد عليه الخليفة بخطاب يشكر فعله ويحمد مقامه ويحذره من اقتراب فصل الشتاء بقوله : « وليس يخفى عليك أن الشتاء بين يديك والبحر دونك وربما تعذر ركوبه ، فاجعل الطعام ذخيرتك وحفظه تجارتك »^(٣) . كذلك كتب إليه الخليفة بأنه سيرسل مبلغ مليون دينار مع أحد خزان بيت المال إلى مدينة ستبة ليسهل على غالب طلب ما يحتاج إليه من أموال ، ومن الأشياء

(١) حصن الحجر أو قلعة النسر أو حجر النسر أو مدينة الحجر ، هى الحصن والملجأ الأخير الذى اعتصم به الادريسي فى شمال المغرب . بناها ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس . وقد وصف الادريسي هذا الحصن بقوله : « وكانت مدينة محدثة لآل ادريس ، وهى على جبل شاخ الذرى ، حصينة منبهة ، لا يصل إليها من طريق واحد ، والطريق صعب الجاز يسلكه الرجل بعد الرجل ، وهى حصينة كثيرة الخيرات وماؤها فيها ، ولها بساتين وعمارات » . وهذه المدينة اندثرت الآن . ويجمع المؤرخون على أنها فى شمال المغرب .

راجع : البكرى ، المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ١١٤ ، ١٢٦ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، القسم الخاص بالمغرب ، هامش (٢) ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٣) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٢) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٣١ .

الطريقة التي طلبها الخليفة من غالب الناصري أن يقوم الجند الأمويين بزراعة وحرث الأراضي التي في حوزتهم طالما أن ذلك لن يسبب خطراً أو تضيقاً لأهل البلاد الأصليين ، كذلك طلب الخليفة من غالب الاهتمام بالبريد وإقامة محطات له في طنجة وأصيلا وغيرهما ، وتوفير احتياجات البريد من العلوفة على الدواب ودفع رواتب القائمين والمشرفين على البريد لانتظام سرعة وصول الأخبار إلى الخليفة بقرطبة^(١) .

ويسجل شعراء الأندلس افتتاح حصن الكرم بأشعار رائعة ، من ذلك قول الشاعر محمد بن شخيص :

لقد حلّ بأس الله بالكرم الذي غدا وهو في حزب الضلال بلاقع
فلو حله غيلان نادى طولوه «هل الأزمن اللأئ مضين رواجع»
وما حجر النسر المنيع بزعمه منيع وهل حصن من الله مانع
فلو طار فوق الأرض أو غار تحتها لما خال أن المتأى عنك واسع
وما يضع الأدبار من أنت رافع ولا يرفع الأقبال من أنت واضع
وقد علم الاسلام ما أنت منفق وفي نصر من تسعى وعمن تدافع
جمعت بما فرقت شمل جميعنا فأنت بتفريق الدخائر جامع^(٢)

وفي يوم الجمعة الثالث من المحرم سنة ٣٦٣ هـ (الرابع من أكتوبر سنة ٩٧٣ م) انتهز أهل مدينة البصرة^(٣) فرصة خروج محمد بن حنون المنتزى فيها لبعض شؤونه وترك عليها خاله محمد بن عبد السلام : « الذي كان ظهورا له

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٣٥ — ١٣٦ .

(٢) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

(٣) مدينة البصرة مدينة أثرية مندرسة ، أسسها الأدارسة في القرن الثالث الهجرى وصارت لها شهرة كبيرة في الأزدهار والعمران حتى القرن الرابع الهجرى ، ثم خربت بعد ذلك . وقد اختلف المؤرخون والجغرافيون حول تحديد مكانها بالضبط ، فقالوا أنها كانت بين طنجة وفاس وأنها كانت تعرف ببصره الكتان لاشتهارها بتجارة الكتان وتعرف أيضا بالحمراء لأنها حمراء التربة . (راجع : البكرى ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ١١٠ — ١١١ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، هامش (١) ص ١٦٢) .

ومدبرا لشأنه لا يقدم أمرا ولا يؤخره إلا عن رأيه ومشاورته وكان مشنوعا إلى أهل البلد » . ولذا دبروا عليه وقتلوه ، واحتزوا رأسه وأرسلوها إلى غالب الناصري يستصرخون به ويدعونه للمسير إلى مدينتهم . فلبى غالب صريخهم ودعوتهم وسار إليهم يوم السبت الرابع من المحرم من محلته بالمصاره ، وأبقى الوزير القائد يحيى بن محمد بن هاشم التجيبى في حصن الكرم للإشراف على تجديد دفاعاته ، ودخل غالب الناصري مدينة البصرة يوم الأحد الخامس من المحرم سنة ٣٦٣ هـ (السادس من أكتوبر سنة ٩٧٣ م)^(١) .

أرسل غالب الناصري كتاب تهنئة بفتح مدينة البصرة للخليفة الحكم المستنصر ، كما أرفق بكتابه هذا كتاب أهل البصرة الذى سبق وأن أرسلوه إليه لاستدعائه لدخول مدينتهم . وأنفذ بذلك قنடاً فتاه الذى حمل معه أيضا رأس محمد بن عبد السلام ، فوصل قنـد فتى غالب الناصري إلى قرطبة يوم الأربعاء الثامن من المحرم سنة ٣٦٣ هـ (التاسع من أكتوبر سنة ٩٧٣ م) فنزل بمنية الناعورة^(٢) انتظارا للمثول بين يدى الخليفة الحكم المستنصر ، وفي صباح الخميس التاسع من المحرم ٣٦٣ هـ (العاشر من أكتوبر ٩٧٣ م) أمر الخليفة الحكم المستنصر صاحب خيله بالركوب إلى منية الناعورة ، ورفع رأس محمد بن عبد السلام في قناة سامية والبروز به من هناك إلى باب السدة وهو الباب الرئيسى من أبواب قصر الخلافة بقرطبة ، فخرج أهل قرطبة لرؤية هذا الموكب

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٤١ — ١٤٢ .

(٢) كانت منية الناعورة في بداية أمرها أرضاً تقع على شاطئ الوادى الكبير ، ثم اشتراها الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط من صاحبها خليل البيطار عام ٢٥٣ هـ (٨٦٧ م) ، فأيدع بناءها ، واتخذها لسكانه . وفي عصر عبد الرحمن الناصر شملها بعنائه وعنى بتجميلها وزخرفها وجعلها مقرا لاقامته قبل أن يؤسس مدينة الزهراء . عن منية الناعورة راجع :

ابن حيان ، المقتبس ، نشر ملشور انطونية ، ص ٣٨ ، وأنظر المقتبس ، نشر شالميتا ، ص ٧٥ ، ٢١٩ ، ٢٥٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ابن خلدون ، العبر ، ح ٤ ، ص ٣١٢ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ح ٢ ، ص ١١٢ ، ازهار الرياض ، ح ٢ ، ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، جومث مورينو ، الفن الاسلامى في أسبانيا ، ص ٨٥ ، سالم ، قرطبة ، ح ١ ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

الكبير إلى أن انتهى إلى باب السدة ، فأمر صاحب الشرطة محمد بن جعفر ابن عثمان المصحفي بنصبه فوق خشبة عالية على الرصيف ازاء باب السدة ، ثم جلس الخليفة وأوصل إلى نفسه الوزراء وكبار رجالات الدولة ثم استدعى قند فتى غالب الناصري ، فأدناه إليه ، واستفسر منه عن أحوال الجند ، فأحسن الجواب ، فسر الخليفة ، وأمر له بصلة مائة دينار وكسوة وسيف مذهب وفرس جواد وأمره بالعودة إلى مولاه غالب الناصري^(١) . وكان محمد ابن حنون المنتزى بمدينة البصرة قد ترك بها زوجته ابنة حسن بن كنون ، فأرسل غالب الناصري إلى الخليفة الحكم المستنصر يستطلع رأيه في مصيرها « فعهد إليه أمير المؤمنين بسدل الستر عليها واکرامها ومن معها من نسوتها والحاقها وایاهن بالمحدد والدها حسن بمقله الحجر ، ففعل غالب ذلك وحملها على فرس رائع بسرج ولجام معرقين مفرغين بعد أن كسيت كسوة سنية وأفیض ذلك في خدمتها ونسائها وأركبن معها فاحتملت معهن إلى أيها الحسن بالحجر بأفضل حال »^(٢) . وقد أرسل غالب الناصري ثعبان بن أحمد البربري قاتل محمد بن عبد السلام خال محمد بن حنون في وجوه من رجال أهل البصرة إلى قرطبة ، لرغبتهم في الاشتراك في أعمال الجهاد ضد القوى المسيحية في الأندلس وقد أثنى غالب على بأسه ، وذكر للخليفة المستنصر أنه من الأبطال المشاهير لا يعرف له في المغرب نظير ، فأكرمه الحكم المستنصر ووسع عليه ، وقد أبدى ثعبان بن أحمد البربري من الشجاعة والاقدام والبأس في الجهاد ما جعله موضع احترام وتقدير الخلافة الأموية^(٣) .

سار غالب الناصري من مدينة البصرة بعد أن دعم دفاعاتها وشحنها بالرجال ، وقدم عليها عبد الرحمن بن محمد بن الليث ، وأتجه إلى قبيلة رهونة

المتحالفة مع الحسن بن كنون ، فلما رأى أهلها مسير العسكر الأندلسي نحوهم ، أعلنوا الطاعة للخلافة الأموية ، فبذل لهم غالب الناصري الأمان^(١) . ثم سار غالب الناصري إلى الجبل المعروف بجبل العيون المتصل بحجر النسر ، ووضع عليه ألف من الرجال للتضييق على الحسن بن كنون ، وشدد غالب الحصار عليه ، فخرج عنه الكثير من المؤيدين والأنصار حتى بلغوا سبعمائة رجل في يوم واحد كان آخرهم ولده المسمى بالمنصور مع أخته وأمها ، لاذوا بالأمان مؤثرين طاعة الأمويين ، بل أن المشرف على سجن الحسن بن كنون تواطأ مع من كان في سجنه من الرهائن الذين كان ارتنهم من بعض القبائل ، فأطلق سراحهم ، وفر بنفسه معهم إلى غالب الناصري فضمهم إليه وأحسن إليهم ، فاضطر الحسن بن كنون إلى إرسال ابنه علي بن الحسن إلى غالب الناصري لطلب الأمان لنفسه وأهله وماله ورجاله ، فأجابه غالب إلى ذلك وعاهده عليه ، ودخل غالب حجر النسر يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٣٦٣ هـ (العشرين من مارس سنة ٩٧٤ م) . وفي يوم الجمعة التالي الموافق للتاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٣٦٣ هـ (٢٧ مارس سنة ٩٧٤ م) شهد الخليفة الحكم المستنصر صلاة الجمعة بالمسجد الجامع بقرطبة ، وجلس بعد الصلاة في ساباط المقصورة كعادته وأوصل إلى نفسه الوزراء وكبار رجالات الدولة وأعلن أمامهم خضوع الحسن بن كنون وقرأ عليهم كتاب غالب الناصري يهنئه بهذا النصر العظيم ، وأن الخطبة قد قامت لأمر المؤمنين في قلعة حجر النسر : « فاستبشر الوزراء وبشروا وهنوا وغبطوا وأعلنوا بشكر الله تعالى فأطالوا »^(٢) . وقد صدر عن أمر الخليفة المستنصر كتاب تلى على سائر منابر المساجد بالأندلس ينوه فيه بالانتصارات التي أحرزها

(١) ابن حيان ، نفسه ، ص ١٤٤ .

(٢) راجع هذه التفاصيل في : ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٤٤ — ١٥١ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ ، ابن أبى رر ، روض القرطاس ، ص ٥٧ ، السلاوى ، الاستقصا ، ج ١ ، ص ٢٠١ .

Levi provençal. Histoire. Vol, II, P. 193 - 194.

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٤٢ — ١٤٣ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٤٣ — ١٤٤ ، ابن عذارى البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ .

(٣) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

على الحسن بن كنون وارغامه وأهله على قبول طاعته مع التنويه بفضل قائده غالب الناصري^(١).

وفي أواخر ذى الحجة سنة ٣٦٣ هـ (سبتمبر سنة ٩٧٤ م) عبر غالب الناصري المجاز إلى الجزيرة الخضراء ، تاركا شئون المغرب للقائد يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي تنفيذاً لرغبة الخليفة الحكم المستنصر وكان في ركب غالب ، الحسن بن كنون وسائر أهله وشيعته من زعماء الإدارة . وأشرف غالب في ركبته الحافل على قرطبة في أوائل المحرم سنة ٣٦٤ هـ (سبتمبر سنة ٩٧٤ م) وأنزل الأشراف الحسينيون المرافقون له في الدور التي أعدت لهم بقرطبة وأرباضها . وخرج الجند من مدينة الزهراء في صبيحة يوم الخميس الخامس من المحرم سنة ٣٦٤ هـ (السادس والعشرين من سبتمبر ٩٧٤ م) لتلقى غالب الناصري والمسير بين يديه ، وعلى رأسهم عدة من الفتيان ورؤساء الخدمة ، ودخل غالب قرطبة في عسكره ، وفي ركبته الأشراف الإدارة ونزل بمنية الناعورة ويصف لنا المؤرخ ابن حيان في تفصيل شاف موكب غالب الناصري يوم السبت السابع من المحرم سنة ٣٦٤ هـ (الثامن والعشرين من سبتمبر ٩٧٤ م) وهو في طريقه للقاء الخليفة الحكم المستنصر بقصر الزهراء ، ومن كان يحف به أو يتبعه من الفرسان المدرعين وأهل الخدمة والصقالبة والعبيد والرماة وغيرهم من أصحاب الطبول والبنود والرايات ودخل غالب في موكبه الفخم مدينة الزهراء من باب السدة ، ونفذ إلى القصر ، بينما أنزل الإدارة الذين معه في المجالس القبلية بدار الجند . وكان الخليفة الحكم المستنصر قد جلس لاستقباله في المجلس الشرق المشرف على الرياض ، وقد حف به الأخوة ، وجلس من بعدهم الوزراء وأصحاب الشرطة والمدينة والقضاة والفقهاء وسائر أهل الخدمة ، كل في مكانه المعهود . واستقبل الخليفة زعماء الإدارة وشكر طاعتهم ، وعفا عن الحسن بن كنون ووعدهم بالاحسان وأجزل لهم الأرزاق والصلوات^(٢).

(١) راجع : ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٧٨ - ١٨٢ .

(٢) راجع التفاصيل في : المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٩٤ - ٢٠٠ .

وفي الثاني من شعبان سنة ٣٦٤ هـ (١٧ أبريل سنة ٩٧٥ م) هاجم جيش مشترك من الجلالقة والبشكنس والقشتاليين حصن غرماج الحصين الواقع على نهر دويرة على مقربة من مدينة سالم ، ونشب بين هذا الجيش والحامية الإسلامية المرابطة بحصن غرماج قتال عنيف . كان النصر فيه للمسلمين ، ولكن النصارى سارعوا إلى طلب الامدادات من جميع القوى المسيحية منتهزين انشغال الجيوش الاندلسية بحروبها في المغرب . وقد شدد النصارى حصارهم لحصن غرماج^(١) . فلما وصلت هذه الأخبار إلى الخليفة الحكم المستنصر ، أسرع بتجريد عساكر ضخمة وقرر اسناد القيادة لـ : « شيخ مواله وكبير قواده وسيف انتقامه الوزير القائد الأعلى أبا تمام غالب بن عبد الرحمن ، شيخ الحروب وفارس الخطوب ومهون الكروب ومذل القروم » . عقب عودته ظافراً من حروبه ضد الحسن بن كنون ، وكان الخليفة الحكم المستنصر قد ميز غالب الناصري وجعل له الصدارة على بقية وزرائه : « حتى لأنفذ عهده بتصدير فراشه ، الموضوع مكانه بيت الوزراء في قصره الذى هو معان العزة التى لها يسعى أهل المملكة ، فوق فرش الوزراء المرتبة فيه على المنازل المعهودة الترتيب لديهم في طبقاتهم ، وتعليته في القعود فوق جميعهم ، تشريفاً له لم يسبق إلى مثله »^(٢).

وفي يوم الخميس السابع من شعبان سنة ٣٦٤ هـ (الثاني والعشرين من أبريل سنة ٩٧٥ م) استدعى الخليفة الحكم المستنصر غالب الناصري إلى مجلسه بقصر الخلافة بقرطبة ، وأمره بالتأهب والاستعداد لقيادة جيوش الصائفة المتجهة إلى حصن غرماج ، ثم قام بتقليده سيفين من ذخائر سيوفه مذهبين . وفي يوم السبت التاسع من شعبان سنة ٣٦٤ هـ (الرابع والعشرين من أبريل سنة ٩٧٥ م) خرج غالب الناصري من داره في موكب فخم واحتفال كبير شهده أهل قرطبة ، وكان الخليفة وولى عهده الأمير هشام في

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

Levi Provençal, Histoire, Vol, II, P. 183.

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٢١٩ .

وداعه ، كما أرسل الخليفة في أثره احمال المال للاتفاق على الصائفة^(١) . كذلك أنفذ سهل الفتى الكبير إلى الثغر الأعلى مدداً لغالب الناصري تنفيذاً لرغبة غالب نفسه ، فخرج إليه في جموع كبيرة^(٢) ، كما استدعى ولي العهد الأمير هشام القائد عبد العزيز بن حكم التجيبي وأمره نيابة عن الخليفة باللاحاق بغالب الناصري^(٣) .

واصل غالب الناصري سيره إلى أن وصل إلى جنوبي حصن غرماج ، فوجد أن الناصري قد شددوا حصارهم له ، وأحاطوا به من كل جانب ، فتوقف عن اقتحام الحصار حتى تصل إليه الامدادات . وفي يوم السبت السابع من رمضان سنة ٣٦٤ هـ (الحادى والعشرين من مايو سنة ٩٧٥ م) حدثت مناوشات بين الطرفين على ضفتى نهر دويرة ، فآخذ غالب القتل فيهم ، وقتل ما يقرب من عشرين من كبار رجال الدين المسيحيين^(٤) .

ولا شك أن الحصار المسيحي لحصن غرماج كان له أسوأ الأثر في نفوس أهل قرطبة ، حيث كان حديث الناس في مساجدهم ومحافلهم ، ومما يؤكد ذلك الحديث الذى وجهه أحد المسلمين لكبار رجال الدولة الذين شهدوا جنازة أحد كبار الزهاد في قرطبة قائلاً : « عباد الله أخلصوا الله دعاءكم وأرفعوا إليه أصواتكم بالنداء والابتهال في حقن دماء أخوانكم المؤمنين وأوليائكم المسلمين أهل حصن غرماج الذين قد أحاط بهم جمع المشركين وأخذوا بمخنقهم ، واستطالوا عليهم بكثرتهم ، اللهم أهلك الكفرة ، وما ابتدعوا ، وأوهن كيدهم وما جمعوا ، اللهم فرق ملأهم بعزتك ، وبدد شملهم بعظمتك ، وأيد المسلمين عليهم بقدرتك ، وأنصرهم نصراً عزيزاً ، وأفتح لهم فتحة مينا » . فأمن الحاضرون واجهشوا بالبكاء وعجلوا بالضراعة والدعاء ، والابتهال والنداء^(٥) . وفي يوم الاثنين الخامس عشر من شوال سنة ٣٦٤ هـ

(١) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .

(٢) ابن حيان ، نفسه ، ص ٢٢٣ .

(٣) ابن حيان ، نفسه ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٢٢٦ — ٢٢٧ .

(٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٢٢٩ .

(٢٨ يونيه ٩٧٥ م) ، أحاط النصارى بحصن غرماج في حشود ضخمة بلغت زهاء ستين ألفاً ، محاولين اقتحامه ونشبت بينهم وبين الحامية الاسلامية معركة عنيفة انتهت بهزيمة النصارى ، فبادرت صفوفهم بالارتداد عن الحصن بعد أن فقدوا كثيراً من جندهم وعتادهم ، وطاردهم المسلمون فقتلوا منهم جموعاً أخرى وأحرزوا غنائم كثيرة ، وبعث المسلمون إلى غالب الناصري وهو مقترب منهم لنصرتهم بنياً هذا الانتصار فأنفذه من فوره إلى الخليفة وسار إلى الحصن ونزل به . وكانت مدة الحصار المسيحي لحصن غرماج أربعة وسبعين يوماً^(١) . ثم خرج غالب الناصري من حصن غرماج في قواته ، فعاث في أراضى قشتالة ، فانتسف زروعهم وخرب قراهم وقتل من ظفر به منهم . ولما كان غرسية فرنانديز صاحب قشتالة على مقربة من الجيش الاسلامى ، فقد سبر قوة كبيرة لمداغة المسلمين ، وقد حدث الصدام بين الطرفين يوم الخامس عشر من شوال سنة ٣٦٤ هـ (الثامن والعشرين من يونيه سنة ٩٧٥ م) ، وهُزم القشتاليون هزيمة قبيحة ، وقتل الكثير من أعلام رجالهم ومشاهير فرسانهم ، وقد أرسل غالب الناصري للخليفة الحكم المستنصر كتاب تهنئة بهذا الانتصار ، فقرأه في المسجدين الجامعين بقرطبة والزهراء يوم الجمعة الرابع من ذى القعدة سنة ٤٦٤ هـ (السادس عشر من يوليو سنة ٩٧٥ م)^(٢) .

الصراع بين غالب الناصري والمنصور بن أبى عامر :

كانت بين القائد غالب بن عبد الرحمن الناصري والحاجب جعفر بن عثمان المصحفى^(٣) عداوة ومنافسة ، وكان المصحفى يخشى غالباً ، كما كان غالب

(١) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٥٠٢ .
Levi Provençal, Histoire, Vol, II, P. 183 - 184.

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٢٣٦ — ٢٣٧ .

Levi Provençal, Histoire, Vol, II, P. 184.

(٣) جعفر بن عثمان المصحفى من بربر بلنسية ، كان والده عثمان بن نصر أمودياً للأمير الحكم بن عبد الرحمن الناصر ، حتى توفى عام ٣٢٥ هـ (٩٣٦ م) ، فلما توفى والده قرّبه الأمير الحكم إليه وعينه كاتباً له ، ثم ولاه الخليفة عبد الرحمن الناصر على كورة البيرة والمرية ، ثم عزله عن المرية التى =

يزدرية ويمقته ولا يراه أهلا للمنصب الرفيع الذي بات يشغله ، ويرى نفسه أولى وأحق به كذلك كان محمد بن أبي عامر يطمع هو الآخر في الظفر بهذا المنصب وحدث أن|تباطأ غالب الناصري بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر في مدافعة النصارى وقعد عن ردهم لما هاجموا الثغور ، فشكا المصحفي ذلك للوزراء فأشاروا عليه بملاطفته واستصلاحه^(١) . ولكن محمد بن أبي عامر أعتنم هذه الفرصة ليضم غالبا إليه تمهيدا للتخلص من جعفر فتظاهر بالاخلاص له ، وبالغ في التقرب إليه واكتساب ثقته ، وأخذ يعلى من مكانة غالب عند السيدة صبح البشكنسية^(٢) زوج الخليفة الحكم المستنصر وأم الخليفة هشام المؤيد

تولاها القائد محمد بن رماحس ، وأقر جعفر بن عثمان على البيرة فقط ، ثم لم يلبث أن عُزل عنها سنة ٣٢٩ هـ (٩٤٠ م) . وفي عام ٣٣٣ هـ (٩٤٤ م) ولاه الناصر قائداً على الجزائر الشرقية . فلما توفي الناصر وتولى ابنه الحكم المستنصر الخلافة استوزر جعفر بن عثمان وولاه كتابته الخاصة ، ثم ضم إليه الاشراف على الشرطة وخدمة ابنه الأمير هشام ، وظل جعفر أقرب الشخصيات ومحل ثقة الخليفة الحكم المستنصر إلى أن توفي في سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦ م) فلعب دورا هاما في الحفاظ على عرش الخلافة للأمير هشام المؤيد فولاه الخليفة هشام حجابته وأصبح من أهم الشخصيات في بلاط قرطبة .

عن جعفر بن عثمان المصحفي راجع : ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ق ١ ، ت رقم ٨٩٨ ص ٣٠٥ ، ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شاليتا ، ص ٤٧ ، ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق ٤ ، المجلد الأول ، ص ٦٤ ، العذري ، ترصيع الأخبار ، ص ٨١ ، ابن الأبار ، الحلة السرياء ، ح ١ ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ٢١٥ ، ٢٦٥ ، مجهول : جغرافية الأندلس ، ص ١٧٣ — ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٧٩ — ١٨٠ — ١٨٢ ، المقرئ : نفح الطيب ، ح ٤ ، ص ٨٨ .

Levi Provençal, Histoire, Vol, II, PP. 213 - 214.

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٤ ، ابن خاقان ، مطمح الأنفس ومسرح الناس ، ص ٤ — ٦ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ح ٤ ، ص ٨٨ .

(٢) لسنا نعرف شيئا عن نشأة صبح البشكنسية وحياتها الأولى ، وكل ما تقدمه لنا الروايات الاسلامية في ذلك أن صبحا كانت جارية بشكنسية ظهرت في بلاط قرطبة في أوائل عهد الخليفة الحكم المستنصر وكانت فتاة رائعة الحسن والجمال ، فشغف بها الحكم وأغدى عليها حبه وسماها بجعفر ، وقد ولدت للمستنصر ولدا سماه عبد الرحمن ، وكان مولده حادثا خطيرا نوهت به الشعراء والأدباء ولكنه مات طفلا ، فحزن عليه الحكم ايما حزن ، على أن القدر لم يلبث أن جباه مرة أخرى ، إذ ولدت صبح ولدا آخر سماه أبوه هشاما ، فكان ولي عهده الملقب بالمؤيد ، واستمرت صبح أيام الحكم المستنصر تتمتع في البلاط والحكومة بنفوذ كبير ، وكان المستنصر يثق في اخلاصها وحزمها

وصاحبة التأثير القوى على إبنها ، وتمكن من اقناعها هي وابنها ، وكذلك كبار رجالات القصر بضرورة تقريب غالب واسترضائه ، حتى نجح أخيرا في استصدار مرسوم برفع غالب إلى منصب ذى الوزارتين وبأن يندب لقيادة جيش الثغر وأن يندب محمد بن أبي عامر لقيادة جيش الحضرة^(١) .

وفي يوم عيد الفطر سنة ٣٦٦ هـ (٢٣ مايو سنة ٩٧٧ م) ، خرج محمد بن أبي عامر بالصائفة ، فاجتمع مع غالب الناصري بمدينة مجريط^(٢) ، واتفقا على الايقاع بجعفر بن عثمان المصحفي ، واخترق الجيشان معا أراضي قشتالة ، وافتتحا حصن موله وأصابوا كثيرا من الغنائم والسبي . وعلى الرغم من أن غالبا

ويستمع إلى رأيها في معظم شئون الدولة ، وكانت كلمتها هي العليا في تعيين الوزراء وكبار رجالات الدولة ، وتمكن محمد بن أبي عامر بفضلها من تقلد أرفع وظائف الدولة والقصر ولكنه سرعان ما تغير عليها ، فاستعانت بزيبري بن عطية المغراوي ، فصادر ابن أبي عامر أموالها ، وحجر عليها إلى أن توفيت في ٢٩ ذى الحجة ٣٨٩ هـ (١١ ديسمبر ٩٩٩ م) .

راجع : ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٧٠ ، ابن سعيد المغربي ، المغرب ، ح ١ ، ص ١٩٦ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥١ ، ٢٦٦ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٤٩ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ح ٤ ، ص ٨٧ ، ٩١ ، ٩٢ ، عنان : دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ .
(١) ابن عذارى ، البيان ، ح ٢ ، ص ٢٦٥ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ح ٤ ، ص ٨٨ .

Levi Provençal, Histoire, Vol, II, P. 213 - 214.

جيش الثغر أى الجيش المرابط على الحدود الشمالية . وكان في العادة جيشا ضخما معدا أحسن اعداد ومدربا أكمل تدريب . وكانت كتلة هذا الجيش الرئيسي تقيم في مدينة سالم قاعدة الثغر الأوسط . وإلى جانب هذا الجيش كان هناك جيش آخر يقيم في الزهراء يسمى جيش الحضرة . وكانت قيادة جيش الحضرة للخليفة نفسه ، وهو ينيب عنه من يريده من قواده . فإذا خرج الخليفة للغزو جمع قيادتي جيش الثغر وجيش الحضرة .

(٢) مجريط (واسمها الآن مدريد Madrid) وهي عاصمة أسبانيا منذ عام ١٥٦٢ م . كانت حصنا له نصيب من الأهمية العسكرية والثقافية من أعمال طليطلة . وهي من انشاء الأمير محمد ابن عبدالرحمن الأوسط ، وقد وقعت في أيدي النصارى سنة ٤٧٦ هـ (١٠٨٣ م) .
راجع : الأدريسى ، صفة المغرب ، ص ١٧٥ ، ١٨٨ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ح ٧ ، ص ٢٨٨ — ٢٨٩ — ٣٩٤ ، ابن سعيد ، المغرب ، ح ٢ ، ص ٤٣ — ٤٤ ، الحميري ، الروض المططار ، ص ١٧٩ — ١٨٠ ، محمود مكى ، مدريد العربية ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، بدون تاريخ ، ص ١٩ وما بعدها .

كان صاحب الفضل فيما أحرزته تلك الصائفة من انتصارات ، إلا أنه تنازل عن حقه ونسب ما أحرزه من انتصارات لشجاعة وبسالة محمد بن أبي عامر . ولما انتهت الغزوة افترق القائدان ، وعاد غالب إلى ثغره بعد أن أبلغ في مواطأة ابن أبي عامر على عدوه جعفر المصحفي ، وقال لابن أبي عامر عند وداعه : « سيظهر لك بهذا الفتح اسم عظيم ، وذكر جليل وسيشغلهم السرور به عن الخوض فيما تحدثه من قصته فاياك ان تخرج عن الدار (أى قصر الخلافة) حتى تعزل ابن جعفر عن المدينة وتتقلدها دونه » (١) .

خاطب غالب الناصري الخليفة هشام المؤيد بحسن مناب محمد بن أبي عامر في هذه الغزوة ، ونسب السعي والاجتهاد إليه ، وشكره وشد عضده عند الخليفة ، ووصلت هذه الرسالة قرطبة قبل عودة ابن أبي عامر ، ثم دخل قرطبة منصورفا بالسبي والغنائم فاستمال قلوب الخاصة والعامة ، وهان عليه أمر جعفر المصحفي ، وشرع في التخلص منه ، فما كاد يصل إلى قرطبة حتى أمر الخليفة هشام بعزل محمد بن جعفر بن عثمان المصحفي عن ولاية المدينة وتقليدها لمحمد بن أبي عامر : « فخرج محمد نحو كرسيها في هذا اليوم ، والخلع عليه ، ولا عند جعفر علم بذلك ، وكان محمد بن جعفر جالسا في مجلسها في ابهة ، إذ صعد ابن أبي عامر نحوه ، فولى محمد بن جعفر ناكصا على عقبة » (٢) . فأعاد محمد بن أبي عامر الأمن والأمان إلى قرطبة ، إذا كان أهلها يعانون من اضطراب الأمور واختلال الأمن وذيوع الفساد ، فأصدر ابن أبي عامر أوامر مشددة بقمع أهل الشر والفساد ، وطبق القانون على أقرب المقربين له ، فانقمع الشرقي أيامه ، واستخلف على المدينة ابن عمه عمرو بن عبد الله بن أبي عامر : « فسلك في أهل الشر سبيله بل أرى عليه في ذاك » (٣) .

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٤ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ ،

٢٦٦ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٨٨ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٥٢٨ .

Levi Provençal, Histoire, Vol, II, P. 214.

(٢) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٤ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ .

(٣) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٤ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ،

ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .

أيقن جعفر بن عثمان المصحفي أن محمد بن أبي عامر يمهّد الطريق — بتقريبه من غالب الناصري — للتخلص منه والوصول بمساعدة غالب إلى منصب الحجابة ، فلم يجد سوى وسيلة واحدة لانقاذ الموقف وهي المبادرة إلى التقرب من غالب الناصري ، فكاتبه يستصلحه ، وخطب ابنته أسماء لابنه عثمان ، فتأثر غالب لطلبه ، ووافق على ذلك برغم ما كان بينهما من خلال وعداء ، وتمت كتابة العقد وحدد يوم الزفاف دون أن يعلم محمد بن أبي عامر بما حدث ، ولكن سرعان ما علم ، فكتب إلى غالب ينشده العهد ، ويخوفه الحيلة ، ويخطب ابنته أسماء لنفسه ، كما أغرى رجال القصر فكاتبوه وصرفوه عن نيته ، فنزل غالب على تلك الرغبة ، وعدل إلى مصاهرة ابن أبي عامر وتم العقد في أوائل المحرم سنة ٣٦٧ هـ (أغسطس سنة ٩٧٨ م) فلما تم هذا العقد خرج محمد بن أبي عامر للغزو ، فدخل طليطلة غرة صفر سنة ٣٦٧ هـ (الثامن عشر من سبتمبر سنة ٩٧٨ م) ، فالتقى مع صهره غالب الناصري ، وسار الاثنان في قواتهما شمالا حيث اقتحما في طريقهما بعض الحصون حتى وصلا إلى مدينة شلمنقة الواقعة جنوب غربي مملكة ليون ، فاقتحماها ، وعاثا في أرباضها واستوليا على كثير من الغنائم والسبي ، وعاد محمد بن أبي عامر إلى قرطبة ، فسر الخليفة هشام المؤيد بصنيعه ورفعاه إلى خطة الوزارتين أسوة بصهرة غالب ورفع راتبه إلى ثمانين دينارا شهريا وهو راتب الحجابة وقتئذ . وما كاد ابن أبي عامر يستقر في قرطبة حتى أخذت الاهبة لاتمام زفافه على أسماء ، فأحضرت إلى قصر الخلافة في موكب ضخم ، وكانت من أجمل نساء عصرها وأوفرهن ثقافة ، وكانت قد تزوجت لأول مرة بالوزير ابن حدير على أيام الحكم المستنصر ثم طلقت منه . وزفت أسماء إلى محمد بن أبي عامر في حفلات كانت مضرب الأمثال في البذخ . ونظم الاحتفال بقصر الخلافة في قرطبة وباشراف السيدة صبح البشكنسية التي أغدقت على العروس أروع

الهدايا والتحف ، وحظيت أسماء عند محمد بن أبي عامر ، فلم يفارقها مدى حياته^(١) .

قلد الخليفة هشام المؤيد غالب الناصري منصب الحجابة بالاشتراك مع جعفر المصحفي ، ثم سرعان ما سخط الخليفة على جعفر المصحفي ، فعزله عن الحجابة يوم الاثنين الثالث عشر من شعبان سنة ٣٦٧ هـ (السادس والعشرين من مارس سنة ٩٧٨ م) ، وأمر بالقبض عليه وعلى أولاده وأفراد أسرته ، وعزلهم عما كان بأيديهم من أعمال ، والتحفظ على أموالهم ، وتولى محمد بن أبي عامر أمر محاسبتهم واستصفاء أموالهم ، كذلك قتل هشام ابن أخى جعفر المصحفي في سجنه ، إذ كان أشد آل عثمان عداوة له ، واستمرت النكبة على جعفر المصحفي خمسة سنوات إلى أن توفي بسجن مدينة الزهراء سنة ٣٧٢ هـ (٩٨٢)^(٢) .

رقى محمد بن أبي عامر إلى منصب الحجابة في نفس اليوم الذي عُزل فيه جعفر بن عثمان المصحفي ، وأخذ يسيطر على مقاليد الأمور في الدولة ، وأصبح الخليفة هشام المؤيد كالمحجور عليه بقصر الخلافة وفي ذلك يقول ابن عذارى : « ابن أبي عامر بلغ من ذلك مبلغا لم يبلغه قط متغلب على خليفة ، لأنه احتوى على الملك كله ، وصير الخليفة قبضة في يده ، حتى أنه لم

(١) راجع في ذلك :

ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٥ ، ابن الآبار ، الحلة السرياء ، ح ١ ، ص ٢٥٩ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ٢٦٧ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ح ٤ ، ص ٨٨ — ٨٩ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٥٢٩ .

Levi Provençal, Histoire, Vol, II, P. 214 - 215.

(٢) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٥ — ٧٠ ، ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ص ٤ — ٨ ، ابن سعيد ، المغرب ، ح ١ ، ص ١٩٦ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ٢٦٧ — ٢٦٨ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٦٩ — ٧٠ ز ابن خلدون ، العبر ، ح ٤ ، ق ٢ ، ص ٣١٩ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ح ٤ ، ص ٨٨ — ٨٩ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٥٢٩ .

Levi Provençal, Histoire, Vol, II, P. 215 - 216.

يكن ينفذ له أمر في داره ولا حرمة الا عن أذنه وعلمه ، وجعل متولى قصره من قبله من يثق به ، وصيره عيناً على السلطان لا يخفى عليه شيء من حركاته وأخباره»^(١) . ولذا بدأ الصدام بين الحليفين والصهرين القديمين ، فلم يكن غالب الناصري راضيا عن معاملة ابن أبي عامر للخليفة هشام المؤيد والحجر عليه ، كما كان ابن أبي عامر لا يطيق أن يرى له معارضا ، وأخذ كل منهما يدبر للتخلص من الآخر . ولما كان غالب الناصري يتفوق على ابن أبي عامر في أعمال الفروسية وفنون الحرب والقتال ، رأى أن يستعين عليه بفارس من أعظم فرسان عصره ، فلجأ إلى استدعاء جعفر بن علي بن حمدون المعروف بالأندلسي من العدو^(٢) ، وتواترت كتبه إليه فترك حكم المغرب لأخيه يحيى ، وعبر إلى الأندلس بجيشه ، واستوزره محمد بن أبي عامر : « فعظم شأنه وأحله محل الأخ في الثقة ، وقدمه على الكفاة ، فوجد عنده ما أحبه وفوق ما قدره»^(٣) . كذلك عمل ابن أبي عامر على الاستكثار من البربر والاحسان

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ٢٧٨ — ٢٧٩ .

(٢) دخل جعفر ويحيى ابنا علي بن حمدون الأندلس — كما سبق أن ذكرت — عام ٣٦٠ هـ (٩٧١ م) وأستقبلهما الخليفة الحكم المستنصر استقبالا طيبا . وفي أواخر عام ٣٦٣ هـ (٩٧٤ م) نكب الخليفة المستنصر جعفر ويحيى وكان الخليفة قد ابتاع منهما عبيدهما الذين استغفوا من خدمتهما ودفع الثمن إليهما ، وتم فصل العبيد عنهما وضمهم إلى الخليفة وجنده . وكان لذلك فيما يبدو أثر سيء في نفسيهما ، فقبل أنهما تكلمتا في حق الخليفة بما لا يحمد وجاهرا بامتداح الفاطميين ساداتهم الأوائل ، ونمى ذلك إلى الخليفة المستنصر ، فأمر في الحال بالقبض عليهما ، وزجا مكبولين إلى سجن مدينة الزهراء ، ولبثا في سجنهما بضعة أشهر ، حتى عاد الخليفة فعفا عنهما وأمر باطلاق سراحهما في شهر رجب ٣٦٤ هـ (٩٧٥ م) فعاد جعفر ويحيى إلى المغرب حيث عقد الحاجب جعفر المصحفي لهما على المغرب باسم الخليفة المستنصر وخلع عليهما خلعا فاخرة وضم إليهما بعض رجالهما ، فلما حدث الخلاف بين ابن أبي عامر وغالب ، سارع ابن أبي عامر إلى استدعاء جعفر بن علي بن حمدون .

راجع : ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٤٤ — ٥٦ ، ابن الآبار ، الحلة السرياء ، ح ١ ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ٢٤٢ — ٢٤٣ ، مجهول ، مفاخر البربر ، ص ٨ ، ١٤ .

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ٢٧٨ — ٢٧٩ .

إليهم والتوسعة عليهم » فأنثالوا على ابن أبي عامر ، ومازالوا يتلاحقون وفرسانهم يتواترون ، يجيء الرجل منهم بلباس الخلق على الاعجف فيبدل به بلباس الخنز الطرازى وغيره ، ويركب الجواد العتيق ، ويسكن قصرا ، لم يتصور له في منامه مثله ، حتى صاروا أكثر أجناد الأندلس^(١) .

وبات واضحا أن الحرب ستنتشب لا محالة بين غالب الناصرى ومحمد ابن أبي عامر ، وقد عزم غالب على التخلص من ابن أبي عامر ، ولم يكن في الامكان تحقيق ذلك الا بطريق المصانعة ، فدعاه أثناء غزوه بالصائفة في أراضى قشتالة ، كان قد خرج إليها من قرطبة يوم الجمعة الثالث عشر من رمضان ٦٣٩ هـ (الثاني من أبريل سنة ٩٨٠ م) إلى وليمة أقامها له بمدينة أنتيسة من الثغر ، فلما صعد ابن أبي عامر في قله من أصحابه إلى القلعة انفراد به غالب ، وأخذ في عتابه ، ثم كر عليه بسيفه ، فأصابه بجراح أبانت بعض أنامله وأثرت أثرا كبيرا في صدغه ، إلا أن ابن أبي عامر تمكن من الفرار بفرسه من أعلى القلعة ، وامتنع غالب بها ، بينما سار ابن أبي عامر إلى مدينة سالم حيث دار غالب وأولاده ، وكانت أخبار الصدام بينهما قد وصلت إليها ، فقام كاتب غالب بتسليمها إليه ، فاستولى عليها وعلى جميع ما كان لغالب بها من أموال وذخائر ، وفرقها على جيشه ، ثم عاد إلى قرطبة فوصلها يوم التاسع من ذى القعدة سنة ٣٦٩ هـ (السابع والعشرين من مايو ٩٨٠ م)^(٢) .

وقد أورد صاحب الحلة السيرة نصا على جانب كبير من الأهمية ، إذ أشار إلى أن الخليفة هشام المؤيد ، منح عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ابن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضى لقب الامارة ، وفوض إليه أمر طليطلة ، وقلده اياها مع الوزارة ، وسد به الثغر : « فاستقل بمقاومة غالب أيام فتنته ، حتى دعاه إلى القيام بالخلافة »^(٣) . وهذا النص يشير إلى نقطتين هامتين

(١) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٧٩ .

(٢) العذرى ، ترصيع الأخبار ، ص ٧٦ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٧١ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٥٣٨ .

(٣) ابن الآبار ، الحلة السيرة ، ح ١ ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

أولهما : أن الخليفة هشام المؤيد — بتحريض فيما يبدو من محمد ابن أبي عامر — قد أصدر مرسوما بعزل غالب الناصرى عن الثغر الأوسط وولاه لأحد أفراد الأسرة الأموية وجعل مركزه طليطلة وعهد إليه بقتال غالب الناصرى . وثانيهما أن غالبا — وقد يئس من موقف هشام المؤيد — قد خلع طاعته ، ودعا هذا الأمير الأموى إلى الخلافة .

حشد غالب الناصرى حشوده لقتال محمد بن أبي عامر ، كما استعان براميرو الثالث ملك ليون ، فأمدّه ببعض قواته . وفي نفس الوقت سار ابن أبي عامر ونزل بحصن شنت بجنت SAN vicente بالقرب من انتيسة يوم الخميس الثاني من المحرم سنة ٣٧١ هـ (الثامن من يوليو سنة ٩٨١ م) ، فبرز له غالب ، وكان ابن أبي عامر قد عبأ عسكره أحسن تعبئة ، فصار في القلب مع جند الحضرة ، وجعفر بن على بن حمدون مع البربر في الميمنة ، وأبا الاحوص مع ابن عبد العزيز التجيبى ، وحسن بن أحمد بن عبد الودود في معظم أهل الثغور في الميسرة ، وقد استمرت المناوشات بين الجيشين طوال يومى الخميس والجمعة ، إلى أن وقع القتال صباح يوم السبت الرابع من المحرم سنة ٣٧١ هـ (العاشر من يوليو سنة ٩٨١ م) ، وتقدم غالب ، وكان قد قارب الثمانين من عمره ، فحمل على ميمنة جيش ابن أبي عامر فدمرها تماما ، ثم تحول إلى الميسرة ، والحق بها ما الحقه بالميمنة ، ولم يتبق سوى القلب وبه ابن أبي عامر ، وقد أيقن بالهلاك وعقد غالب اجتماعا لقواده وقال لهم : « كيف ترون عاقبه الصبر ؟ قد كسرنا جناحي القوم ، وبقي القلب ، وانما ثبت من فيه حياء من هذا الأحذب الملعون — يعنى ابن أبي عامر — وليسوا ذوى حفاظ فما أخلقهم باسلامه ، فأصدقوا الحملة ، عسى الله أن يمكن منهم بقدرته ، ثم رفع يديه وقال : « اللهم ان كنت تعلم ان بقاءى أصلح للمسلمين وأعود عليهم من بقاء محمد بن أبي عامر فاهلكه وأنصرنى عليه ، وان كان هو أولى بذلك منى فانصره على وأرحنى »^(١) . وما كاد يتم حديثه ، حتى ترك

(١) ابن حزم ، نطق العروس ، ص ٨١ - ٨٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٧٣ .

ميدان القتال واتجه إلى خندق إلى جانب معسكره ، فظن أصحابه أنه يريد أن يأخذ قسماً من الراحة ، فلم يتبعه أحد فلما أبطأ عليهم ركبت طائفة منهم نحوه ، فوجدوه قد سقط على الأرض ميتاً ، وقد فارق الحياة بلا ضربة ولا طعنة ولا رمية ، وفرسه واقف يعلك لجامه ، ولا يعلم أحد بسبب موته ، غير أن البعض قال أن قربوس سرجه ضربه ، فأصاب قلبه فمات في الحال . وأسرع أحد أصحاب غالب إلى محمد بن أبي عامر يشره بمقتل غالب ، فلم يصدق حتى جرى له بيده وفيها خاتمه ، ثم جرى برأسه ، فخر ابن أبي عامر ساجداً ، وكبر المسلمون تكبيراً خلع قلوب النصاري الذين كانوا في عسكر غالب ، وولوا وجوههم مدبرين ، فطاردهم قوات ابن أبي عامر ، وقتلوا منهم عدداً كبيراً ، وكان من بين القتلى رذمير بن شانجة وتسمية المصادر العربية « رى قرجة » ، وقام ابن أبي عامر بسلخ جلد غالب ، وحشى قطناً وصلب على باب قصر الخلافة بقرطبة ، بينما صلب رأسه على باب مدينة الزاهرة ، وظلت رأسه على تلك الحال إلى أن أنزلت يوم هدم الزاهرة في سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٨ م) (١).

بمقتل غالب بن عبد الرحمن الناصري فقدت دولة الاسلام في الأندلس ، قائداً من أعظم قوادها سواء في مجال الجهاد البرى أو البحرى ، لعب دوراً هاماً في أحداث التاريخ الإسلامى سواء في الأندلس أو في المغرب في فترة من أزهى فترات الوجود الإسلامى في الأندلس ، قبل أن يصيب هذا الوجود الضعف والاضمحلال الذى أدى إلى سقوط الخلافة الأموية في قرطبة عام ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) ، كما أن مقتل غالب قد فتح باب المجد أمام محمد بن أبي عامر ، إذ سيطر على مقاليد الأمور وأصبح أعظم شخصيات العصر في الأندلس .

(١) عن مقتل غالب الناصري راجع : ابن حزم ، نقط العروس ، ص ٨٢ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٧٣ — ٧٤ ، ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ٣١٩ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٩١ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٥٣٩ — ٥٤٠ .

Dozy, Histoire, Vol, II, P. 242 - 243; Levi provençal, Histoire, Vol, II, P. 226 - 228.

أولاً — المصادر العربية

ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي)

ت ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م)

الحلة السيرة

تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، في جزئين الطبعة الأولى ،

القاهرة ، ١٩٦٣ م .

ابن أبى زرع (أبو الحسن على بن عبد الله الفاسى)

ت ٧٢٦ هـ (١٣٢٥ م)

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ

مدينة فاس ،

المطبعة الفاسية ، ١٣٠٥ هـ .

ابن الأثير (أبو الحسن على بن أحمد بن أبى الكرم)

ت ٦٣٠ هـ (١٢٣٣ م)

الكامل في التاريخ

طبعة بيروت ، اثنا عشر جزءاً ، ٦٥ — ١٩٦٧ م .

الأدريسى (الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز)

ت حوالى ٥٤٨ هـ (١١٥٥ م)

صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس

مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق

تحقيق دى غوية ودوزى ، ليدن ١٨٦٤ م .

ابن بسام (أبو الحسن على الششتينى)

ت ٥٤٣ هـ (١١٤٧ م)

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة
تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد)

ت ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م)

— جمهرة انساب العرب

تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون

نشر دار المعارف بمصر ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٢ م .

— نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، تحقيق د . شوقي ضيف ،

نشر بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد الثالث عشر ،

الجزء الثاني ، ديسمبر ١٩٥١ م .

الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي)

توفي بعد سنة ٨٦٦ هـ (١٤٦١ م)

صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر
الأقطار .

نشر وتحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ م .

ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي)

ت ٤٦٩ هـ (١٠٧٩ م)

— المقتبس في تاريخ رجال الأندلس ، اعتنى بنشره الاب ملشور

أنطونية ، باريس ، ١٩٣٧ م .

— المقتبس في أخبار بلد الأندلس

نشره وحققه الدكتور عبد الرحمن الحجى ، بيروت ، دار

الثقافة ، ١٩٦٥ م

— المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، حققه وقدم له وعلق عليه

الدكتور محمود على مكى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ،

١٩٧٣ م .

— المقتبس ، أعتنى بنشره الدكتور بدور شالميتا ، والدكتور

كورنيطي والدكتور محمود صبح ، نشر المعهد الأسباني

العربى للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب بالرباط ، مدريد ،

١٩٧٩ م .

ابن خاقان (أبو النصر الفتح بن محمد)

ت ٥٣٥ هـ (١١٣٤ م) .

مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ،

طبعة قسنطينة ، ١٣٠٢ هـ .

ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد) :

ت ٧٧٦ هـ (١٣٧٤ م)

— أعمال الأعلام فيمن يبيع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ،

الجزء الخاص بالأندلس ، تحقيق ليفي بروفنسال ، الرباط ،

١٩٣٤ م

— أعمال الأعلام فيمن يبيع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ،

الجزء الخاص بالمغرب ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى

والأستاذ محمد ابراهيم الكتانى ، الدار البيضاء ، المغرب ،

١٩٦٤ م .

— الاحاطة في أخبار غرناطة

نشر وتحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ، أربعة مجلدات ،

القاهرة ، ١٩٧٣ — ١٩٧٩ م .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)

ت ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م)

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر

ومن عاصروهم من ذوى السلطان الأكبر ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى)

ت ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م)

المغرب في حلى المغرب

تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، في جزئين ، دار المعارف —

القاهرة ، ١٩٥٣ — ١٩٥٥ م .

السلوى (أبو العباس أحمد بن خالد)

ت ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م)

— الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى تحقيق جعفر الناصري

ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ م

ابن عذارى (أبو عبد الله محمد المراكشي)

ت بعد عام ٧١٢ هـ (١٢١٢ م)

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب

نشر كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة ،

بيروت ، بدون تاريخ

العذري (أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائ)

ت ٤٧٨ هـ (١٠٨٨ م)

— نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار

والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ،

تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهواني ، مطبعة معهد الدراسات

الإسلامية ، مدريد ، ١٩٦٥ م .

أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل)

المختصر في أخبار البشر ، جزآن ، ط ١ ، المطبعة الحسينية

المصرية ، القاهرة ، (بدون تاريخ) .

المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد)

ت ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م)

أتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، الجزء الأول تحقيق

د . جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .

المقري (أحمد بن محمد التلمساني)

ت ١٠٤١ هـ (١٦٣١ م)

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين

بن الخطيب . حققه وضبط غرائبه وعلق على حواشيه محمد محيي

الدين عبد الحميد في عشرة أجزاء ، القاهرة ، ١٩٤٩ م .

مؤلف مجهول :

أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب

الواقعة بها بينهم ، نشره دون لافونتي ، القنطرة في مجموعة Obras

Arabigas ، مدريد ، ١٨٦٧ م .

مؤلف مجهول :

نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى منتخبة من المجموع

المسمى بكتاب مفاخر البربر ، أعتنى بنشرها وتصحيحها ، ليفي

بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ م .

مؤلف مجهول :

الاستبصار في عجائب الأمصار ، وصف مكة والمدينة ومصر

وبلاد المغرب والسودان مؤلف في القرن السادس الهجري ، تحقيق

د . سعد زغلول عبد الحميد ، مطبوعات جامعة الاسكندرية

١٩٥٨ م .

مؤلف مجهول :

ذكر بلاد الأندلس

نشر وتحقيق لويس مولينا ، مدريد ١٩٨٣ م .

النويرى (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكرى التميمى
القرشى)

ت ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م)

نهاية الأرب فى فنون الأدب ، الجزء الثانى والعشرين ، نشر
جاسبار راميرو ، غرناطة ، ١٩١٦ - ١٩١٧ م .

ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى ، الرومى ، البغدادى)

معجم البلدان ، خمسة أجزاء ، نشر دار صادر ودار بيروت ،
١٣٧٤ - ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٥ - ١٩٥٧ م .

ثانيا : المراجع العربية

سالم (د . السيد عبد العزيز) :

— تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس

(من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة) ،

طبعة بيروت ، ١٩٦٢ م .

— المغرب الكبير ، الجزء الثانى (العصر الاسلامى)

طبعة الاسكندرية ، ١٩٦٦ م

— تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس بالاشتراك مع

د . أحمد مختار العبادى ، طبعة بيروت ، ١٩٧٢ م .

— قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس

(دراسة تاريخية — عمرانية — أثرية فى العصر الاسلامى)

الجزء الأول ، بيروت ، ١٩٧١ م .

الجزء الثانى ، بيروت ، ١٩٧٢ م .

— تاريخ مدينة المرية الاسلامية .

طبعة الاسكندرية ، ١٩٨٤ م .

العبادى (د . أحمد مختار) :

فى تاريخ المغرب والأندلس ، طبعة الاسكندرية ، ١٩٧٤ م .

عنان (الأستاذ محمد عبد الله) :

— دولة الاسلام فى الأندلس ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ،

١٩٦٠ م .

مكى (د . محمود على)

— أسرة بنى الطنبى القرطبيين ومصرع أبى مروان الطنبى

مجلة كلية الآداب والتربية — جامعة الكويت ، العدد

الثامن ، ديسمبر ١٩٧٥ م .

— مدريد العربية

نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة (بدون

تاريخ) .

مورنيو (جومث) :

الفن الاسلامى فى أسبانيا .

ترجمة د . لطفى عبد البديع ود . السيد عبد العزيز سالم ، طبعة

القاهرة ، ١٩٥٨ م .

مؤنس (د . حسين) :

— فجر الأندلس .

(دراسة فى تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامى إلى قيام الدولة

الأمرية ٧١١ - ٧٥٦ م) .

ثالثا : المراجع الأروبية الحديثة

- Aguado Bleye
Manuel de la Historia de Espana; T.L.
Madrid, 1947.
- Dozy (R.) :
Histoire des Musulmans d'Espagne, edition,
Leiden, 1932.
- Garcia Gomez (Emilio)
Al. Hakam II y Los Berberes,
Al. Andalus, Vol. XIII, 1948.
- Levi provençal.
- L'Espagne Musulmane au xe siecle, paris, 1932.
- La politica Africana de ABD al-Rahman III,
Al-Andalus, Vol, XI, Fasc, 2, 1946.
- Histoire de L'Espagne Musulmane, 3 Vols, Leiden, 1950.

— غارات النورماندين على الأندلس بين سنتي ٢٢٩ هـ ، ٢٤٥ هـ
المجلة التاريخية المصرية ، العدد الأول ، المجلد الثاني ، مايو
١٩٤٩ م .

— معالم تاريخ المغرب والأندلس .
الاسكندرية ، ١٩٨٣ م .